مجلة المختار للعلوم الإنسانية 15 (1): 61-69، 2011

Research Article

Open Access

الثورات في مصر والشام خلال خلافة المأمون العباسي198- 218هـ/813-833م .

عبدالفتاح رجب حمد

قسم التاريخ, كلية الآداب, جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/ajhnep14

المستخلص أثناء خلافة المأمون العباسي (198-218 هـ / 813-833 م)، شهدت مصر وبلاد الشام والعراق ثورات وصراعات. في مصر، تمردت فصائل خراسانية واستغل المأمون الفرصة لكسب الدعم والسيطرة. تقسمت الفصائل العربية، حيث دعم اليمنيون المأمون والقيسيون دعموا الأمين. حاصر المأمون الأمين في بغداد، مما أدى إلى سقوطه ونشوب صراع من أجل استقلال مصر. استعاد المأمون السيطرة وعين قادة جدد. في الوقت نفسه، تم طرد الأندلسيين من الإسكندرية، مما أدى إلى اندلاع اشتباكات وظهور قادة جدد. في بلاد الشام، قاد نصر بن شبث تمردًا كبيرًا ضد المأمون، دافعًا عن الهوية العربية. استولى على السلطة لكنه في النهاية تم القبض عليه وإعدامه في بغداد. أبرزت هذه الثورة في بلاد الشام التحديات التي تواجهها الدولة العباسية في الحفاظ على سيطرتها. قام عبد الله بن طاهر بإخضاع بلاد الشام وتثبيت الأوضاع تحت حكم المأمون.

الكلمات المفتاحية: المأمون العباسي، الثورات، استقلال مصر، الأندلسيون، الدولة العباسية

The Revolutions in Egypt and the Levant during the Abbasid Caliphate, 198-218 AH/813-833 AD.

Abdul Fattah Rajab Hamad

History Department, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: During the caliphate of Al-Ma'mun Al-Abbasi (198-218 AH/813-833 CE), Egypt, the Levant, and Sham experienced revolutions and conflicts. In Egypt, Khurasani factions rebelled and Al-Ma'mun seized the opportunity to gain support and control. The conflict divided Arab factions, with Yemenis supporting Al-Ma'mun and Qaysis supporting Al-Amin. Al-Ma'mun besieged Al-Amin in Baghdad, leading to his downfall and the struggle for Egyptian independence. Al-Ma'mun regained control and appointed new leaders. In parallel, Andalusians were expelled from Alexandria, leading to clashes and the rise of new leaders. In Sham, Nasr ibn Shabath rebelled against Al-Ma'mun, defending Arab identity. He gained control but was eventually captured and executed. This highlighted the challenges faced by the Abbasid state in maintaining control. Abdullah ibn Tahir subdued Sham and stabilized the region under Al-Ma'mun's rule.

Keywords: Al-Ma'mun Al-Abbasi, Revolutions, Egyptian independence, Andalusians, Abbasid state

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

أولاً: الثورات في مصر

أن ضعف السلطة المركزية في بغداد خلال فترة الفتن والحروب التي تخللت عصر الخليفة الأمين 193 – 198 هـ –809 – 813م انتقل أثرها إلى الأقاليم الإسلامية الأخرى، كما أن الفوضى التي نتجت عنها شجعت بعض الولاة على التهاون بمصالح الرعية وإرهاقهم بالضرائب والأعباء المالية المتنوعة، مما أدى إلى جنوحهم إلى الثورة وإعلان العصيان [1].

وجدت في مصر عدد من الفرق الخراسانية التي تميل إلى المأمون ولما خلعه الأمين من ولاية العهد أعلنوا غضبهم وتزعمهم السري بن الحكم الذي كون لنفسه قاعدة عريضة من الأتباع منذ دخوله إلى مصر مع الليث بن الفضل وإلى مصر زمن الخليفة هارون الرشيد 170 – 187هـ وأستغل المأمون تلك الظروف، فكتب إلى قادة الفرق الخراسانية في مصر من أجل دعمه ضد أخيه الأمين فا جابوه في السر، كما أرسل هرثمة بن أعين[2] قائد المأمون سنة196هـ إلى عباد بن محمد بن حيان وكيل ضياعه في مصر، فخلع مع الجند بيعة الأمين وطردوا واليه جابر بن الأشعث[3] فدخلت مصر في طاعة المأمون[4] .

وعلى هذه الشاكلة انعكس الصراع بين الأمين والمأمون على تولي منصب الخلافة على الحالة في مصر، فانقسم العرب إلى فريقين، اليمانية بجانب المأمون، بينما أيد القيسية الأمين، وأستمر النزاع بين الطرفين حتى مقتل الأمين[5] .

تفاجأ الخليفة الأمين بالضربة الإستراتيجية التي طوقه بها أخوه المأمون من خلفه في غرب الدولة، فأرسل إلى زعيم القيسية في الحوف الشرقي (شرق الدلتا) وجعله والياً على مصر ليلقي بأسهم بينهم، وعلى أثر ذلك تجندت القبائل القيسية لقضية الأمين وقاتلت والَي المأمون ومؤيديه، غير أن حصار بغداد الطويل، وما نتج عن مقتل الأمين سنة 198هـ ووصول المأمون إلى منصب الخلافة حول طبيعة النزاع في مصر إلى صراع بين عدد من المنتقدين للاستقلال بحكم مصر[6].

سبب أوضاع مصر المتردية العديد من المشاكل للخليفة المأمون، غير أنه تمكن من السيطرة عليها بالعمل العسكري السريع، وقد كانت أوضاعها تشير إلى ظهور عبد العزيز بن الوزير الجروي الذي تسلط على الحوف الشرقي سنة 199هـ بينما سيطر السري بن الحكم على الفسطاط والصعيد وتولي ولاية مصر بعد أن بايعه الجند سنة 200هـ، أما الحوف الغربي (غرب الدلتا) فقد سيطرت عليه قبيلتا لخم وجذام [7]

استيلاء الأندلسيين على الإسكندرية :

كان بنو لخم وبنو مدلج هم الغالبون على مدينة الإسكندرية وتزعم أحمد بن رحيم بني لخم في تلك الفترة، إلى أن قدم الأندلسيون الذين طردهم الحكم الأول الأموي من قرطبة بعد أن قاموا بثورة ضده، فوصل عدد كبير منهم عبر البحر إلى الإسكندرية وكانوا نحو ثلاثة آلاف رجل فأقاموا على ساحل البحر، ثم قام أحد أعوان العباسيين على رجل من الأندلسيين وقتله، فثار الأندلسيون وقتلوا صاحب الشرطة، وحاربوا أهل الإسكندرية حتى اجلوهم عن منازلهم، وولوا عليهم رجلاً يدعى أبو عبدالله الصوفي فقتل المسلمين وسفك الدماء، ثم عزلوه وولوا عليهم آخر يسمى الكناني، ثم اجلوا بني مدلج وبني لخم عن الإسكندرية، فصارت المدينة تحت تصرفهم[8].

أرسل الخليفة المأمون خالد بن مزيد الشيباني إلى مصر، ومعه عمر بن فرج الرخجي من جيش، وأمرهما بالتعاون في تسيير الأمور في مصر، على أن يلي عمر بن فرج الخراج ويتولى خالد بن مزيد أمر الصلاة، فتحرك القائدان من العراق إلى أن وصلا إلى فلسطين ثم قدما إلى مصر، وكان علي بن عبدالعزيز الجروي هو المتغلب على صعيد مصر، فأرسل إليها بكتاب بالسمع والطاعة، وأنه لم يزل هو ووالده على ذلك، فأقاما بضعة أشهر يكاتبان عبدالله بن السرى، ثم زحف إليه خالد وأقام عمر بمكانه، فخرج إليه عبدالله بن السرى من الفسطاط فلما التقيا خذل خالد أصحابه الذين كان الجروي قد أمده بهم، فحارب خالد مع مواليه وأتباعه غير أن عبدالله بن السرى كان أكثر منه إتباعا فتم اسر خالد، وأقام خالد عند عبيدالله بن السرى مكرماً، ثم حمله في البحر وأرسله إلى العراق، بينما ظل عمر بن فرج في الصعيد إلى أن حضر وقت الحج[9].

ويدل هذا الصراع على أن أوضاع مصر كانت غير هادئة ومقسمة بين قوى متصارعة مما جعل المأمون يرسل أحد قادته لحسم الموقف لصالحه وذلك عندما وجه سنة 210هـ – 825م القائد عبدالله بن طاهر بن الحسين إلى مصر وجعله والياً عليها، ولما أقترب عبدالله بن طاهر من الفسطاط وصار منها على مرحلة أرسل أحد قادته لارتياد موضعاً لكي يعسكر الجيش به وكان هذا القائد في قلة من أتباعه فتصادم مع جيش عبدالله بن السرى الذي كان قد حفر خندقاً حول الفسطاط وانجد عبدالله بن طاهر قائده ببقية الجيش وفر عبدالله السرى إلى الفسطاط فحاصره عبدالله بن طاهر فما كان منه إلا أن خرج طالباً الأمان[10]

نهاية الأندلسيين ورحيلهم من الإسكندرية :

بعد أن استطاع عبدالله بن طاهر أن ينهي حركة عبدالله بن السرى توجه غرباً إلى الإسكندرية لتحريرها من الأندلسيين فحاصرهم حصاراً شديداً، ثم أمنهم ودخل الإسكندرية في سنة 212هـ = 827م،

وولى عليها الياس بن أسد الخراساني، وعاد إلى الفسطاط بعد أن وطد حكم المأمون، ثم توجه إلى العراق وحمل معه الجروى وجماعة من أهل مصر والشام وأستخلف على مصر عيسى بن يزيد الجلودي[11] .

ثورة العرب والأقباط :

ولى الخليفة المأمون أخاه المعتصم ولاية الشام ومصر سنة 213هـ/828م وأمر له بخمسمائة ألف دينار[12] وذلك بعد أن ثار القيسية واليمنية في مصر فحاربهم واليها عيسى بن يزيد الجلودى فهزموه أكثر من مره، ثم وجه إليهم المعتصم القائد عمر بن الوليد الذي حاربهم وأكثر فيهم القتل، غير أنه قتل في إحدى المعارك، ثم أمر المأمون أخاه المعتصم أن يخرج إليها بنفسه في سنة 214هـ / 829م، فتوجه من الرقة، ودعاهم إلى الأمان، فرفضوا فقاتلهم وظفر بهم، وأسر عبدالله بن حليس الهلالي زعيم القيسية، وعبدالله الجذامي زعم اليمنية، وأمر بقتلهما، وصلبهما على جسر قصير وحمل عدد كبير من الأسرى إلى بغداد [13] ولقيه الخليفة المأمون قبل أن يدخل الموصل[14] وتولى مصر عمير بن الوليد التميمي، الذي أقام في الولاية مدة يسيره ثم عزل، وتولى بعده عبدويه بن جبله. في سنة 215هـ = 830م، فأقام في الولاية مدة وجيزة وعزل، ثم تولى بعده الأمير عيسى بن منصور الرافقي الذي اضطربت أمور مصر في عهده وخرج أهلها عن الطاعة، وحاربوا جند الفسطاط لأكثر من مرة، وكاتبوا المأمون بذلك، فجهز المأمون الجيوش وخرج بنفسه على رأسها، وتوجه إلى مصر التي دخلها في محرم سنة 217هـ = 831م ومعه أخوه المعتصم وولده العباس بن المأمون وولدي أخيه الواثق والمتوكل ابني المعتصم ورافقه القاضي يحيى بن اكثم[15] وكثير من اعيان بغداد فلما حضر واليه على مصر عيسى بن منصور الرافقي بين يديه وبخه بالكلام وقال له: هذا كله سوء تدبيرك، وجورك على اهل القرى، وقد حملت الناس ما لا يطيقون، وكتمت الأمر عني حتى عظم[16] .

قام المأمون بتعيين قائده الأفشين لمحاربة القبط، في الصعيد، فتوجه الأفشين إلى الصعيد وحاربهم وقتل منهم جماعة كثيرة وأسر النساء والصبيان، وأحضرهم بين يدي المأمون، فأمر بقتل الرجال، وسجن النساء والأطفال[17] .

ويعلق المقريزي على ذلك بقوله" من ذلك اليوم ذل قبط مصر.. ساق روساء الثورة من الأقباط إلى بغداد ويذكر الكندي : " أن المأمون أستفتى فقيهاً [18] مالكياً في معاملة ثوار القبط، فأفتى الفقيه بأنه إذ كانوا خرجوا لظلم نا لهم فلا يحل دمائهم وأموالهم، فرد عليه الخليفة المأمون أنت تيس ومالك أتيس منك.. هؤلاء كفار لهم ذمه، إذ ظلموا تظلموا إلى الأمام، وليس لهم أن ينتصروا بأسيافهم ولا يسفكوا دماء المسلمين في ديارهم[19]

ويتبين من هذا إن أساس ثورة القبط والعرب كانت لإسباب اقتصادية بالدرجة الأولى تتعلق بزيادة فرض الأموال عن حدها الشرعي[20] .

أقام الخليفة المأمون بمصر أربعين يوماً، وغنم في هذه المرحلة نحو أربعة ألاف ألف ألف دينار، غير الهدايا والتحف، ففرق على عسكره لما رجع إلى بغداد، لكل واحد منهم ملء كفه ذهباً، وكان المأمون قد عزل عيسى بن منصور الرافقي من ولاية مصر وولى نصر بن كيدر السعدي[21] .

ثانياً : الثورة في الشام .

أتخذ أهل الشام من الدولة العباسية موقفاً معادياً، وإن اضطروا في أغلب الأحيان إلى إرسال وفود الطاعة والولاء الظاهري إلى بغداد، وكان خلفاء بني العباس يعرفون ذلك جيداً، وعاملوا أهل الشام تارة بالإهمال وتارة بالشدة وبالمدارة في أحيان أخرى حسب الظروف. وتحين أهل الشام فترة صراع ولدىّ الرشيد الأمين والمأمون، وترك الشام في تلك المرحلة لمصيره، فظهر إثنائها عدد من الثائرين، غير أن أغلبهم كانت ثورته محلية وذات نزعة قبلية لا أثر لها، أما الثورة التي تمثل فيها غضب أهل الشام لعروبة الدولة، فهي ثورة نصر من شبت العقيلي، ولعلها احظر ثورة هددت كيان دولة العباسيين أثناء خلافة المأمون، والتقت فيه نقمة أهل الشام مع نزعة الأمويين وتعصبهم للعرب في نفس الوقت[22].

نقم أهل الشام على بني العباس، لميلهم إلى الفرس، لا سيما زمن المأمون، ويبدو أن نقمة أهل الشام كانت بادية وظاهرة عليهم أذا أن الطبري يروي أن رجلاً تعرض للمأمون وقال له : يا أمير المؤمنين ، أنظر لعرب الشام كما نظرت إلى العجم من أهل خراسان، فقال أكثرت عليّ يا أخا أهل الشام، والله ما انزلت قيساً عن لظهور الخيل إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحداً، وأما اليمن فوالله ما أحببتها ولا أحبني قط، وأما قضاعه فسادتها تنظر إلى السفياني وخروجه فتكون من أشياعه، وأما ربيعة فساخطة على الله منذ بعث نبيه من مضر، ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شاريا (خارجياً) اعزب فعل الله بك[23] وهذا دليل على أن المأمون كان لا يثق في أهل الشام وإخلاصهم لدولته .

كان نصر بن شبت من بني عقيل، غضب بسبب مقتل الأمين وبداية انحطاط العنصر العربي بسبب سياسة المأمون الذي تعصب لأخواله من الفرس، فتزعم نصر بن شبت القبائل القيسية في شمال الشام وأقليم الجزيرة، وسكن في مدينة كيسوم الواقعة شمال مدينة حلب، يذكر الأزدي في تاريخه كان أبن شبت والياً على الجزيرة[24] من قبل الأمين فعزله وعين بدله عبدالله من سعيد، وأرسل إليه القائد ذاوود بن عيسى فقتله نصر سنة 198هـ [25] وبذلك يكون نصر بن شبت قد ثار على الأمين والمأمون معاً سنة 198هـ،أعلن نصر بن شبت ثورته على المأمون حمية للعنصر العربي الذي قدم عليهم المأمون

الفرس[26] فتبعه الكثيرون من العنصر العربي وتغلب نصر على بلدة كيسوم الغربية من سميساط[27] ، وصار له ما بين سميساط إلى الضفة الشرقية للفرات وتبعه من بها من العرب، وأرسل إليه المأمون بأن ياتي إليه ويطأ بساطه ليعفو عنه، غير أن نصراً أخذته العزة والكرامة وغصب وقال :

((ويلي عليه، هو لم يقوا على أربعمائة ضفدع تحت جناحه (يعني الزط)[28] يقوى على جلبه الغرب))[29] .

لما قتل الخليفة الأمين على يد جيش المأمون الذي يقوده طاهر بن الحسين قولى المأمون الحسن بن سهل على كل ما أفتتحه طاهر بن الحسين، وأمر طاهر بأن يتوجه إلى الرقة لمحاربة نصر بن شبت وولاه على الموصل والجزيرة والشام فسار طاهر والتقى بنصر من شبت عند كيسوم فأبلى نصر بلاء حسناً، وانتصر وتراجع طاهر إلى الرقة[30] .

يبدو أن طاهر بن الحسين لم يكن جاداً في قتال نصر بن شبت لأنه رأى أنه لم يكافأ على جهوده في محاربة الخليفة الأمين ولم يتمتع بشيء مما حققه[31] .

نتج عن تراجع طاهر بن الحسين أن أرتفع شأن نصر بن شبت وكثر ت جموعه، واتصال به في تلك الحقبة عدد من العلويين الذين تفاوضوا معه في نقل الخلافة إليهم، وقالوا له : قد وترت بني العباس وقتلت رجالهم، فلو بايعت الخليفة كان أقوى لأمرك، فقال من أي الناس؟ فقال: تبايع لا ل علي بن أبي طالب فقال: أأبائع لبعض أولاد السوداوات، قالوا فبايع لبعض بني أمية. قال:أولئك قوم قد أدبر أمرهم .والمدبر لا يقبل أبداً، ولو سلم عليّ مدبر لأعداني إدباره، وإنما هوأي في بني العباس، وإنما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم[32].

ظلت الجزيرة وشمال الشام تحت سيطرة نصر بن شبت العقلي سنوات عديدة هيمن فيها على طرق التجارة، وقام أحياناً بمصادرة التجار[33].

لما وصل المأمون إلى بغداد، قادماً من خراسان أمر طاهر أن يقابله بها، فترك طاهر الرقه وخلف أبنه عبدالله على الجيش وأمره بالجد في محاربة نصر[34].

شرع القائد عبدالله بن طاهر في تنفيذ وصية والده وحدّ في محاربة نصر بن شبت وحاصره وضيق عليه الخناق، وأرسل إليه يقنعه بقبول الصلح فأشترط نصر بن شبت الحصول على أمان من المأمون، فوافق المأمون على ذلك وكتب إلى نصر بكتاب أمان ورد فيه (وأمير المؤمنين يختم كتابه بشهادة إن لا إله إلا الله. وضمانة لك في دينه وذمته، الصفح عن سوالف جرائمك ومقدمات جرائرك .. وانزالك ما يستأهل من منازل العز والرفعة أن أتيت وراجعت أن شاء الله[35] . سلّم نصر نفسه، وأرسل إلى بغداد في

صفر سنة 210هـ، فقام القائد عبدالله بن طاهر بدخول كيسوم وخربها، وقد أحتفل المأمون بقدوم نصر بن شبت إلى عاصمة الخلافة بغداد احتفالا مهيباً[36] .

وبعد أن أستسلم نصر بن شبت، جمع عبدالله بن طاهر الرجال المتغلبين على مدن الشام أمثال أبن السرج وأبن أبي الجمل وأبن أبي الصقر، وحملهم إلى بغداد أيضاً، ثم دخل إلى دمشق وقبض على أبن بيهس [37] ثم قام عبدالله بن طاهر بتهدئة الشام بالترغيب والترهيب، ويذكر اليعقوبي أنه ذهب ليستقري بلاد الشام بلداً بلداً، لا يمر ببلد إلا أخذ رؤساء القبائل والعشائر والصعاليك، وهدم الحصون وحيطان الدور وبسط الأمان للأسود والابيض والأحمر، وحط عن بعضها الخراج، فلم يبق مخارق ولا خالع الأ خرج من قلعته وحصنه[39] .

وهكذا استطاع الخليفة المأمون أن يوطد حكمه في بلاد الشام مثلما فعل بمصر وذلك بفضل حنكة وسرعته في إخماد الفتن ومعالجة الاضطرابات.

الهوامش :

1- أحمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية بيروت، 1970 ص 105.

2- هرثمة بن أعين (ت200هـ - 816م) من أشهر قادة الدولة العباسية، ولاه الرشيد على أفريقية ثم عزله سنة 180هـ 796م، وولاة سنة 191 = 806م غزو الصائفه وضم إليه وضم إليه ثلاثين الف من جند خراسان. ثم ولاه خراسان وخرا جرما سنة 191هـ ، وحارب الثائر رافع بن الليث بن نصر بن سيار سنة 194هـ، وانتصر عليه وأرسله أسيراً إلى المأمون وقاد الجيوش مع طاهر بن الحسين لقتال الأمين فانتصر عليه، ودخل بغداد من الجانب الشرقي، وفي سنة 198هـ كتب الخليفة المأمون إلى هرثمة يأمره بالقدوم إليه وكان الوزير الفضل من سهل ببغضه فدس إليه عند المأمون، فتم حبسه ودس له من قتله بسجن مرو .

3- جابر بن الأشعث (ت196هـ - 812م) هو جابر بن الأشعث الطائي، من ولاة مصر في عهد العباسيين، ولاه إمرتها الأمين سنة 195هـ = 810م واتصلت فتنة الأمين والمأمون بأهل مصر، فقام عصبة المأمون بإخراجه مطروداً من مصر بعد عام واحد من ولايته، جمال الدين بن يوسف أبن تغري بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2 دار الكتب المصرية، القاهرة 1930. ص 148 .

4- سيده اسماعيل كاشف، مصر في فجر الإسلام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999م ص 161، 162.

5- المصدر السابق، ص 161.

6- عبدالعزيز الدوري، العصر العباسي الأول، دار الطليعة، بيروت،1997م، ص 170 .

7 – شاكر مصطفى، دولة بني العباس،ج1، وكالة المطبوعات الكويتية،1973م، ص704.

8- أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، د ارم ادر بيروت، 1960م، ص446.

9- المصدر السابق، ج2، ص 456-457.

10- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص61.

11- اليعقوبي: مصدر سابق، ج2، ص464.

12- الطبري، مصدر سابق، ج2، ص620.

13- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص 464-465.

14- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص 624.

15- يحيى بن أكثم التميمي : كان من أفاضل العلماء والفقهاء ومن المحدثين الذين يروى عنهم الحديث، له بعض المصنفات في الفقه، ذاع صيته وهو شاب وتولى قضاء البصرة في سن مبكرة تولى الوزارة ومنصب قاضي القضاة في عهد المأمون، كان من دهاة زمانه ومن مستشاري المأمون، غير أن المأمون سخط عليه وهما في مصر سنة210هـ فأرسله مغصوباً عليه إلى العراق وصرفه عند خدمته وطال به العمر حتى توفي في عهد الخليفة المتوكل .

علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر،ج4، دار الكتب العلمية، ببيروت، ص 147 .

16- محمد بن أحمد بن أياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور،ج1، تحقيق محمد مصطفى، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، 1998م، ص 145.

17- المصدر السابق، ج1، ص 145-146.

18- أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج1، القاهرة، 1326هـ، ج2، ص99.

19- محمد بن يوسف الكندي، كتاب الولاة والقضاة، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،1908، ص492.

20- سيدة إسماعيل كاشف، مصدر سابق . ص437-439.

21- أبن أياس، مصدر سابق، ج1، ص150.

22- علي بن أحمد بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، دار الكتاب العربي، بيروت،1967م، ص412-413 .

23- الطبري، مصدر سابق، ج1، ص622.

24- الجزيرة: منطقة بين دجلة والفرات مجاورة للشام تضم ديار بكر وديار مصر، سميت بالجزيرة لأنها بين دجلة والفرات، أنظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج2، دار صادر، بيروت،1995م، ص 134-135 .

25- يزيد بن محمد بن أياس، تاريخ الموصل، تحقيق علي خشبة القاهرة، 1967م، ص 328.

26- أبن الأثير، مصدر سابق، ج5، ص420 .

27- سميساط: مدينة علي شاطي الفرات في طرف بلاد الروم تقع غربي الفرات، ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن، وينسب إليها بعض العلماء، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 385.

28- الزط: هم النور موطنهم الأصلي هو منطقة السند بلاد الهند، كانوا يربون الجواميس فأتى بهم الحجاج بن يوسف الثقفي وأسكنهم جنوب العراق، أحمد بن يحيى البلاذري ، مفتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، 1959م، ص 461.

29- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص599.

30- كمال الدين عمر بن ابي جرادة، زبدة الحلب من تاريخ حلب،ج1، تحقيق سامي الدهان، نشر المعهد الفرنسي، دمشق، 1956، ص 65-66.

31- أبن الأثير، مصدر سابق، ج5، ص413.

32- المصدر السابق، ج5، ص 420.

33- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص 598.

34- المصدر السابق، ج8، ص 582-584.

35- المصدر السابق، ج8، ص 600.

36- صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، دمشق، 1970، ص 156 .

37- ابن بيهس، ت210 هـ : هو محمد بن صالح بن بيهس القيسي الكلابي. أمير عرب الشام وسيد قيس، كان نائب الشام للمأمون وقاوم السفياني الذي خرج بدمشق إلى أن توفى بها، أنظر الصفدي، الوافي بالوفيات، ج3، ص156.

38- لم يبقى مخارق ولا خالع : أي لم يبق أحمق يجهل بالشيء ولا يحسن عمله وهو المخارق أما الخالع فهو الثائر الناقض لعهده، أنظر المعجم الوسيط ، ج1، نشر مجمع اللغة العربية، مطبعة مصر القاهرة، 1960م، ص 326-350.

39- اليعقوبي، مصدر سابق، ج2، ص 483 .

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 15 (1): 71-107، 2011

Research Article

Open Access

السبخات الشاطئية دراسة بيئية لسبخة دريانه – سهل بنغازي – ليبيا

محمد غازي الحنفي[1]* عامر مجيد آغا[2]*

قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/swsjny49

المستخلص : تحتل السبخات الشاطئية مساحة واسعة على الساحل الليبي. تتميز بتنوع في خصائص المياه وتوفير بيئة فريدة للنباتات والحيوانات. تلعب دورًا هامًا في دعم التنوع البيولوجي وتوفير فرص اقتصادية من خلال الحرف التقليدية والاستخدامات الأخرى. دراسة سبخة دريانة في ليبيا تركزت على مصادر المياه وتركيبة التربة والتنوع البيولوجي. يجب إدارتها بشكل فعال للحفاظ على البيئة والتراث الثقافي في المنطقة الساحلية.

الكلمات المفتاحية: السبخات الشاطئية، الساحل الليبي، التنوع البيولوجي، مصادر المياه، المنطقة الساحلية

Coastal Salt Marshes: An Environmental Study of Drayana Salt Marsh - Benghazi Plain – Libya

Mohammed Ghazi Al-Hanfi; Amer Majid Agha
Department of Geography, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: Coastal salt marshes occupy a vast area along the Libyan coastline. They are characterized by diverse water properties and provide a unique environment for plants and animals. They play a crucial role in supporting biodiversity and offering economic opportunities through traditional crafts and other uses. A study conducted on the Drayana salt marsh in Libya focused on water sources, soil composition, and biological diversity. Effective management is necessary to preserve the environment and cultural heritage in the coastal region.

Keywords: coastal salt marshes, Libyan coastline, biodiversity, water sources, coastal region

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

1ــ المقدمة:

قلما يطل الإنسان على حيز من الساحل الليبي دون أن تعترضه احدى السبخات الشاطئية، هذه السبخات المحاذية للبحر من غرب إلى شرق ليبيا رغم كثرتها إلا أن أهميتها البيئية والاقتصادية لم تدرك حتى اليوم، فمن بعض هذه السبخات مثل الملاحة في طرابلس وجليانة في بنغازي ما استثمر قديماً في استخراج ملح الطعام خلال العهدين التركي والإيطالي, واليوم تقتصر أهمية السباخ الاقتصادية علي مشروع المجمع الكيماوي بابي كماش (في الغرب) الذي ينتج الملح والكيمياويات (بو لقمة والقزيري1997)، كما أن أهمية أكثر هذه السبخات محلياً لا تتجاوز صيد بعض الطيور والرعي من الإبل والماعز والأغنام، على الرغم أن الذي يرد هذه السبخات متأملاً حالها يجدها تمثل بيئات خاصة ذات موارد كثيرة, وأهميتها البيئية والاقتصادية قد تفوق أهمية غيرها من الأراضي المستغلة في أغراض التنمية المختلفة، ففي بيئات هذه السبخات نجد تنوعاً كبيراً للمياه المالحة وعلى نطاق ضيق، يرافقه تنوع في الترب المالحة وغير المالحة والذي يتبعه تغيراً كبيراً في الغطاء النباتي المتلازم مع بيئة السبخات من جهة, ومع المناخ المتوسطي السائد على الشواطئ الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط من جهة أخرى. فالترب هنا يغلب عليها التكوين الطيني من جهة والرمل من جهة أخرى وفي كلتا الحالتين نجد تجمعات نباتية ذات أهمية بيئية كبيرة من حيث التنوع الحيوي الكبير في هذه البيئات المحلية الضيقة، والتي تكتنز الكثير من الصفات الوراثية التي قد تفيد في أمور كثيرة، فعلى سبيل المثال قد يستفاد من إكثار الأنواع النباتية النامية على الرمال في تثبيت الكثبان الرملية الزاحفة بالقرب من السواحل, وكذلك في مكافحة التصحر في مثل هذه المناطق. كذلك قد يستفاد من أنواع أخرى في تشجير المناطق الساحلية المستغلة كمراعي وبالتالي الاستفادة منها في تنمية الثروة الحيوانية على الشواطئ الليبية. إضافة إلى أنه قد يستفاد من بعض الأنواع في الصناعات المحلية و التي قد تروج بعض الصناعات الريفية و التراثية.

إن هذه السبخات بحقيقتها تمثل بيئات تتلاقى فيها المؤثرات القارية مع المؤثرات البحرية, فبالرغم من وجودها على أطراف القارة من جهة, فهي أيضا ملازمة للبحر من جهة أخرى, ولا يفصلها عنه إلا تلال صغيرة تعلوها الكثبان الرملية, فهي تختلف عن البحيرات الشاطئية (لاغونات) المتصلة بالبحر لعدم وجود حياة بحرية فيها كالأسماك مثلا, وذلك راجع لارتفاع ملوحة مياهها نتيجة التبخير, ولأن مياهها غالبا ما تكون ذات أصل مشترك قاري و بحري بنفس الوقت, إضافة إلى مياه الأمطار الساقطة فوقها مباشرة. فتأثيرات القارة تتمثل من حيث تزويدها بالمياه القارية السطحية والجوفية والمواد المنحلة كالأملاح, والناعمة كالطين, وغير ذلك مما تحمله المياه والذي يكون في هذه السبخات أسطحا كتيمة تؤدي إلى تجميع المياه القارية في منخفضات شاطئية متحولة إلى سباخ مع الزمن, ولذلك فأكثر هذه السبخات على ارتباط بيئي بما يجري على القاره من تأثيرات مناخية قارية إما أن تغنيها بالمياه وإما أن

تؤدي إلى جفافها. وبالمقابل نجد أن للمؤثرات البحرية تأثير واضح في بيئة هذه السبخات والتي تؤدي إلى تركيز الكثبان الرملية البحرية على حوافها المطلة على البحر، وقد تؤدي إلى تزويدها بالمياه المالحة عند هيجان الأمواج، وكذلك تزودها بالرطوبة الجوية العالية أثناء فصل الجفاف الصيفي. والذي يجمع هذين الشطرين من المؤثرات هو المناخ السائد على السواحل الليبية والذي بدوره يعد أهم المؤثرات البحرية في تكوين هذه البيئات.

ومن خلال تداخل هذه المؤثرات مع بعضها تنتج بيئة سبخية ذات طبيعة خاصة،تحوي ضمن طياتها التنوع الغريب من المياه والترب والتجمعات النباتية والحيوانية.

2-الهدف من الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء حول أهمية السبخات الشاطئية في غرب وشرق والمنطقة الوسطى من سواحل ليبيا، حيث تم اختيار سبخة دريانه كنموذج للدراسة، وقام الباحثان بدراسة بيئية لهذه السبخة الواقعة في شمال شرق سهل بنغازي،ما بين العقورية ودريانه، وذلك لإعطاء لمحة عن موارد هذه البيئات وتنوعها وإمكانية الاستفادة منها في التنمية البيئية الشاملة.

3-منهجية الدراسة:

من اجل إتمام هذه الدراسة تم تنفيذ ما يلي:

- **دراسة الموقع الفلكي والجغرافي للسبخة.**
- **منشأ السبخة.**
- **مصادر مياه السبخة.**
- **الخواص الطبوغرافية والمورفولوجية لحوض السبخة:** والتي تتضمن دراسة هيبسومترية لحوض السبخة ودراسة هيبسومترية لحوض وادي زازا الذي يعد أهم الأودية في حوض السبخة.

- **دراسة المناخ:** وتتضمن:

***الحرارة:** وتشمل النظام الحراري والدورة الحرارية السنوية في بيئة السبخة.

***الأمطار:** وتشمل النظام المطري السنوي في بيئة السبخة.

***الرطوبة النسبية.**

***معامل الجفاف:** أو ما يسمى بالقيمة الفعلية للأمطار حسب دي مارتون، وبالتالي تحديد المناخ السائد في بيئة السبخة، وتصنيف مناخ الفصول (الأشهر) على مدار السنة.

- **دراسة التربة:** وتتضمن:

*تصنيفها حسب pH.

*تصنيفها حسب Ec.

*تصنيفها حسب القوام.

- **دراســـة الميـــاه:** وتتضمن دراسة تغير نوعية المياه في بيئة السبخة وتصنيفها اعتماداً على التوصيل الكهربي Ec, وعلى قياس تركيز الأملاح في المياه، واعتمد تصنيف التربة والمياه على المواصفات القياسية المعتمدة من قبل (U.S.D.A) United States Departement of Agriculture.

– **دراسة النبـــت الطبيعـــي:** حيث تمت دراسة نبتية لتحديد ماهية المجتمعات النباتية السائدة في مناطق الكثبان الرملية, وكذلك الترب المالحة المحيطة بالسبخة، من خلال عينات مختارة مثلت الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية والشمالية من السبخة.

– **الحياة الحيوانيـــة:** لقد تم من خلال استبيان حقلي, والمشاهدات الحقلية في أوقات مختلفة من السنة, وكذلك المراجع تحديد بعض أنواع الحيوانات والطيور البرية.

لقد اتبع في هذه الدراسة الأسلوب العلمي من حيث البحث الميداني واختيار عينات التربة والمياه وتحليلها معمليا في مختبرات جامعة عمر المختار. فيما يخص دراسة المناخ اعتمد ت هذه الدراسة على البيانات المناخية المدونة في الدراسة الروسية .Selkhozprom Exp للمنطقة الشرقية من ليبيا (1980) وتم تحليل هذه البيانات من قبلنا فيما يخص الدورة الحرارية ومعامل الجفاف لمحطة العقورية.

أما الدراسة الطبوغرافية فقد اعتمدت على التحليل المكتبي والمنهجي ابتداءاً من الخريطة الطبوغرافية الصادرة عن مصلحة المساحة بمقياس 250000:1 لسهل بنغازي وباستخدام البلانميتر A.OTT KMPTEN TYPE 30115–No. 41207 في حساب المساحات على الخريطة.

4– النتائج والمناقشة:

4–1 – الموقع الفلكي والجغرافي لسبخة دريانه:

تم تحديد الموقع الفلكي لسبخة دريانه بمساعدة الخريطة الطبوغرافية لسهل بنغازي ذات المقياس 250000:1 والصادرة عن مصلحة المساحة عام 1975, فهي تمتد بين خطي الطول $20^{0}19'21''$ و $20^{0}31'08''$ شرقاً, وبين دائرتي العرض $32^{0}21'21''$ و $32^{0}29'27''$ شمالاً, تقع السبخة بين

مدينتي العقوريه ودريانـه, مـع العلم بـأن اتجـاه السبخة العـام هو شمال شرق – جنوب غرب أي بموازة شاطئ البحر، فحدودها الشمالية الشرقية تبدأ على بعد حوالي 5 كم من مدينة العقورية (توكرة) الواقعه في الشمال الشرقي، وحدودها الغربية تنتهي على بعد حوالي 5 كم من مدينة دريانه الواقعه في الجنوب الغربي من السبخه، شكل رقم (1). وهذه السبخة تمثل نهاية امتداد السهل الساحلي عند التلال الشاطئية في شمال شرق سهل بنغازي.

تتكون سبخة دريانـه من سبخة بو جرار في الشمال الشرقي وسبخة الكوز في الجنوب الغربي، وتفصل بينهما منطقة جافة (عند قرية المبنى) في السنوات متوسطة وقليلة الأمطار، أما في السنوات المطيرة تتصل السبختان ببعضهما لتكونا سبخة واحدة يصل طولها لحوالي 23 كم، ومساحتها تبلغ حوالي 28.84 كم^2 ، أي ما يعادل 2884 هكتار، والجدول رقم (1) التالي يبين أبعاد ومساحات أجزاء سبخة دريانة ومعدل حجم مياه كل من هذه الأجزاء.

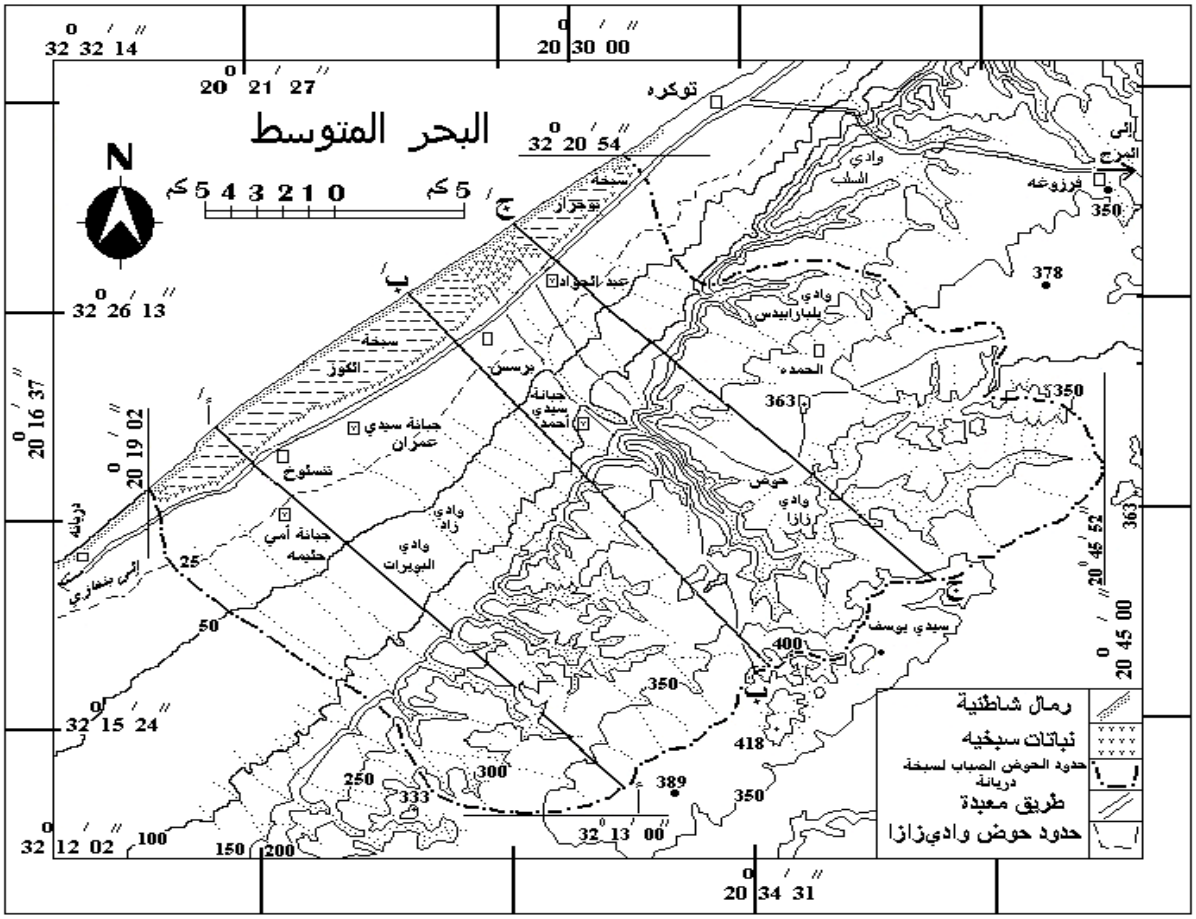

شكل رقم (1): خريطة تبين موقع سبخة دريانه الفلكي والجغرافي، وحدود الحوض الصباب للسبخة كذلك حدود حوض وادي زازا. بالإضافة إلى المقاطع الطبوغرافية ا ا' ، ب ب' وج ج'.

أجزاء سبخة دريانه	الطول (كم)	المساحة ($كم^2$)	العرض الوسطي (كم)	المساحة (هكتار)	حجم المياه ($م^3$)
سبخة بوجرار	5.75	7.8	1.3575	780	2400060
سبخة الكوز	14.75	18.44	1.25	1844	5673988
الجزء الجاف	2.5	2.6	1.04	260	800020
المجموع الكلي	23	28.84	1.254	2884	8874068
السبختين بدون الجزء الجاف	20.5	26.24	1.28	2624	8074048

جدول رقم (1): يبين أبعاد ومساحات أجزاء سبخة دريانه, وحجم المياه المتجمعة في السبخة اعتماداً على متوسط هطول الأمطار والبالغ 307.7 ملم/سنة.

يفصل سبخة دريانه عن البحر تلال صخرية مغطاة بكثبان رملية يصل ارتفاعها لحوالي 8 أمتار فوق مستوى سطح البحر، عرض هذه التلال يتراوح من 300 م وحتى 1كم في الجهة الجنوبية الغربية. هذه التلال تتخللها بعض المناطق المنخفضة والتي تشكل أحياناً ممرات مائية (كانت في الأغلب مصبات لأودية قديمة في البحر) منسوبها أعلى من منسوب ارض السبخة بحوالي 1.5 م، بحيث تؤدى بعض أمواج البحر العاتية إلى وصول قسم من مياهها للسبخة عن طريق التسرب عبر الرمال الشاطئية لهذه الممرات، وفي سبخة الكوز يلاحظ أن مياه هذه الأمواج تتسرب من تحت كثبان الرمال الشاطئية لتظهر جارية نحو السبخة, صوره (1).

4ـ2 منشأ سبخة دريانه:

تعد سبخة دريانه مصب لعديد من الأودية التي تنحدر من الحافة الغربية للجبل الأخضر عبر جروف شديدة الانحدار مخترقة السهل الساحلي حتى تصب في السبخة، من هذه الأودية وادي امريغان ووادي بر سس ووادي زازا، هذا الوادي الأخير الذي يعد أهم الأودية التي تصب في السبخة قد فقد أهميته في السنوات الأخيرة كمصدر لتغذية السبخة بالمياه القارية وذلك بعد إقامة سد في أعالي السهل الساحلي. هذه الأودية ساهمت بما تحمله من مياه ومواد ناعمة قارية (سيلت وطين) في السنوات المطيرة أن تكون بحيرة شاطئية ضحلة في أرض منخفضة عما يجاورها موازية للبحر.

إن المواد الناعمة المتراكمة في أرض السبخة من سيلت وطين بالإضافة للأملاح المتراكمة نتيجة التبخر جعلت من أرض السبخة سطحاً كتيماً يمنع تسرب الماء إلى الأسفل، بحيث يساهم التساقط

المباشر للأمطار فوق سطح السبخة في ارتفاع منسوب مياهها وزيادة اتساعها على الأراضي المجاورة لها, وبمرور الزمن وبتوالي تجمع المياه والمواد الناعمة وتراكم الأملاح في هذه المنطقة حولتها إلى سبخة تتجمع فيها المياه في الأشهر الرطبة، وتجف السبخة تماماً في الأشهر الجافة من السنة، وتتزهر الأملاح في وسطها طيلة أشهر الصيف. إن جفاف السبخة تماماً في فصل الصيف هو دليل على أن مصدر نشوء هذه السبخة هو قاري وليس بحري؛ إذ أنه لو كان مصدر نشوئها بحرياً لما جفت مياها في فصل الصيف، وبذلك يتبين أن منسوب أرض السبخة أعلى من منسوب سطح البحر, رغم كل ذلك فإنه من الناحية العملية لا يمكن أن يذكر أن بعض صفات البحيرات الساحلية (لاغونات) تكاد تنطبق على سبخة دريانه، فهناك الكثبان الرملية الشاطئية الموازية للساحل، والممرات المائية التي تصل البحر بالسبخة كما ذكرنا سابقاً، وكذلك بعض بقايا الإشينات والطحالب والأصداف البحرية التي نجدها بين الحين والأخر في أنحاء متفرقة من السبخة, صور (2 و 3 و 4).

4 ــ 3 مصادر مياه السبخة:

4 ــ 3 ــ 1ــ مياه الأمطار:

تعد مياه الأمطار التي تسقط مباشرةً فوق سطح السبخة المصدر الرئيسي لمياه السبخة في السنوات متوسطة وقليلة الأمطار. ومن خلال دراسة معدلات الأمطار لمحطة العقورية القريبة من السبخة يتبين بأن معدلات الأمطار السنوية فيها تساوى 311.2 ملم/ سنة وذلك خلال فترة 12 سنة تمتد من 1929 إلى 1940 (Selkhozprom Exp.) وأنها بلغت 305.7 ملم /سنة وذلك خلال فترة 23 سنة تمتد من 1956 إلى 1978 (Selkhozprom Exp.) وبناءاً عليه فإن متوسط الأمطار السنوي في العقورية هو بحدود 307.6 ملم/ سنة وذلك خلال الفترتين المتضمنتين 35 سنة (غير مستمرة). هذا يعنى بأن متوسط حجم المياه الساقطة فوق السبخة تقدر بحوالي 8.87 مليون متر مكعب/ سنة. منها 2.4 مليون متر مكعب تمثل مياه سبخة بو جرار، 5.67 مليون متر مكعب/ سنة تمثل مياه سبخة الكوز، جدول (1). هذه المياه تجف مع حلول فصل الصيف, إذ تجف السبخة تماماً ويلاحظ تزهر الأملاح في وسطها, صور (1 و 2 و3 و 4). إن أعمق نقطة للمياه في سبخة الكوز تبلغ 48 سم (شهر 1998/3) وهى تساوى 42 سم في سبخة بو جرار، مع العلم بأن الارتفاع الوسطى لمياه السبختين لا يتجاوز 30 سم.

4 ــ 3 ــ 2 ــ المياه الجوفية القارية:

إن منسوب المياه في سبخة دريانه يمثل منسوب المياه الجوفية في المنطقة, مع العلم بأن الميل الهيدروليكي لمستوى المياه الجوفية من الداخل باتجاه السبخة يساهم بتزويد السبخة بالمياه العذبة التي

تختلط بالمياه المالحة عند اقترابها من منطقة السبخة، وجدير بالذكر وجود عين طبيعية عند مصب وادي امريغان في سبخة بو جرار. إن تغذية المياه الجوفية للسبخة يتم في الشتاء فقط، أما في الصيف وعند هبوط منسوب مياه السبخة وجفافها فلا يبقى للمياه الجوفية أي تأثير يذكر في مياه السبخة، والمياه الجوفية, الذي يكون منسوبها أخفض من أرضية السبخة في هذا الفصل, تصرف بالسبخة عن طريق التبخر نتيجة وصولها إلى سطح تربة السبخة عن طريق الخاصة الشعرية. إن منسوب المياه الجوفية ما بين الشتاء والصيف في بئر بو جرار يتراوح ما بين 1.1م في الشتاء إلى 1.52م في الصيف من سطح الأرض،أي يتأرجح بمقدار 42 سم.

4- 3- 3-المياه البحرية:

تتزود السبخة بالمياه البحرية عن طريق ممرات رملية تقطع التلال الشاطئية، حيث تنساب مياه البحر نحو السبخة خلال رمال هذه الممرات في أوقات المد البحري والأمواج العاتية وقد استطعنا تمييز خمس ممرات يتراوح عرضها ما بين 50م و 200 م, صورة (1)، بالإضافة إلى تسرب مياه الأمواج العالية من تحت الكثبان الرملية إلى سبخة الكوز في جهاتها الشمالية الشرقية.

4- 3- 4- المياه الجارية:

تتزود السبخة بالمياه السطحية الجارية من الوديان التي تنحدر من الجهة الشمالية الغربية للجبل الأخضر, والتي تمثل الحوض الصباب للسبخة, وذلك في السنوات المطيرة عندما تحدث عواصف مطرية ذات شدة مطرية كبيرة تؤدي لحدوث جريان سطحي في تلك الأوديه، ويلاحظ في الوديان التي تعبر الطريق العامة (المرج – بنغازي) آثار جريان مياه في هذه الأودية, ولكن بكميات قليلة بعد العواصف المطرية, كما هو الحال في عام 1998 و1999. إن هذه الأودية تلعب دوراً مهماً في تزويد السبخة بالمياه القارية في السنوات المطيرة وارتفاع منسوب مياهها على المناطق المجاورة, إن مياه الأودية عندما تصب في السبخة تجعل مياهها عكرة, وتدوم عكورة مياه السبخة لفترة قد تزيد عن شهرين لحين ترقيد الرسوبيات, هذه العكارة هي الدليل على وصول الجريان السطحي للسبخة, وهي التي تميز مصدر المياه الجارية عن بقية مصادر مياه السبخة, لذلك تناولت هذه الدراسة الخواص الطبو غرافية والمورفولوجية للحوض الصباب لسبخة دريانه ولحوض وادي زازا.

4- 4- الخواص الطبوغرافية والمورفو لوجية لحوض سبخة دريانه:

إن المياه القارية الجارية السطحية (و الجوفية) التي تصل لسبخة دريانه تأتيها من حوض تجميع المطر البالغة مساحته 637 كم^2 (محسوبة بوساطة البلانيميتر من الخريطة المذكورة سابقاً، شكل رقم (1). حيث تبلغ أعلى نقطة ارتفاع في هذا الحوض 410م في منطقة سيدي يوسف (من الدرجة الأولى

من الجبل الأخضر) الواقعه في الجهة الجنوبية الشرقية من السبخة، وأقل نقطة ارتفاع تمثل شاطئ البحر عند المنسوب صفر م. يمتد هذا الحوض بين خطي الطول $20^{0}19'02''$ و $20^{0}43'52''$ شرقاَ, و بين خطي العرض $32^{0}13'00''$ و $32^{0}20'54''$ شمالاَ. ويستقبل معدلاَ سنوياَ من الأمطار يعادل 200 مليون $م^{3}$.

من أجل توضيح تغير معالم السطح من الجبل باتجاه السهل ومروراَ بالسبخة حتى شاطئ البحر تم رسم خطوط التسوية بفارق 50 م بين كل خطي كنتور، إضافة إلى رسم خط الكنتور 25 م على هيئة خط متقطع لبيان كيفية تدرج ميل السهل ناحية السبخة. كما تم رسم ثلاث مقاطع طبوغرافية تبدأ من خط تقسيم المياه للحوض وتنتهي عند الشاطئ، واتجاهها العام شمال غرب– جنوب شرق هي ا ا' ، ب ب' ، ج ج' موقعة على الخريطة المذكورة (شكل رقم 1) وتوضحها الأشكال (2، 3، 4), إذ يظهر في هذه الأشكال تغير المعالم الطبوغرافية الغربية للمصطبة الأولى من الدرجة الأولى للجبل ذات الميل اللطيف والتي تنتهي عند ارتفاع 250 م. إذ يتراوح الميل الطبوغرافي لها بين 13.94 م /كم في المقطع ا ا' في الجنوب الغربي للحوض, و13.67 م /كم في المقطع ب ب' في وسط الحوض, و7.27 م /كم في المقطع ج ج' في الشمال الشرقي للحوض.

ما بين ارتفاع 250م و100 م فوق سطح البحر تظهر على هذه المقاطع معالم الحافة الأولى, من الدرجة الأولى, للجبل مطلة على السهل بميل يتراوح ما بين 60 م /كم في الجهة الجنوبية الغربية أي في المقطع ا ا', وحوالي 107 م/كم في المقطع ب ب', وحوالي 93.75 م/كم في شمال شرق الحوض. كما أن معالم السهل الساحلي الذي يبدأ عند ارتفاع 100م وينتهي بشاطئ البحر يتراوح الميل فيه ما بين 8.3 م/كم في الجهة الجنوبية الغربية للحوض و 9.8 م/كم في الوسط و 9.52 م/كم في شمال شرق الحوض.

في منطقة السبخة يقل ميل السهل الساحلي كلما اقتربنا من السبخة حيث يتراوح الميل في القطاع 0 . 25 م ما بين 6.25 م/كم في الجنوب الغربي, و5.38 م/كم في الشمال الشرقي للحوض, والجدول رقم (2) التالي يبين كيفية تغير الميول الطبوغرافية للحوض حسب المقاطع المذكورة أعلاه. إن وجود التلال الشاطئية والمغطاة بالكثبان الرملية يؤدي إلى حجز مياه الحوض ضمن المنطقة المنخفضة المكونة للسبخة, صورة (6).

القطاع من الحوض	التضرس (م)	المقطع ا ا' 372 . 0م	المطقع ب ب' 410 . 0م	المقطع ج ج' 350 . 0م	الوحدة (م/كم)
السهل العلوي (المصطبة الأولي)	250 . 410	13.94	13.67	7.27	(م/كم)
الحافة الأولي للجبل	100 . 250	60	107	93.75	(م/كم)
السهل الساحلي (السهل السفلي)	0 . 100	8.3	9.8	9.52	(م/كم)
نطاق السبخة	0 . 25	6.25	5.83	5.38	(م/كم)

الجدول رقم (2): تغير المعالم الطبوغرافية (الميل بوحدة م/كم) لحوض سبخة دريانه حسب المقاطع الطبوغرافية.

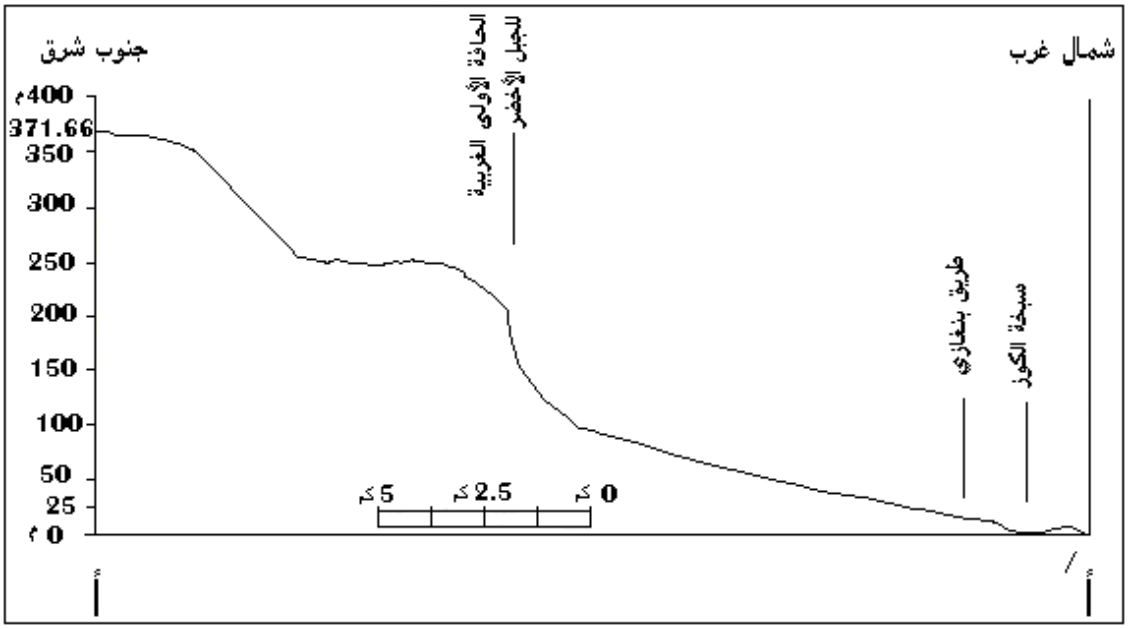

شكل رقم (2): المقطع الطبوغروفي ا ا' في حوض سبخة دريانه (الجهة الجنوبية الغربية).

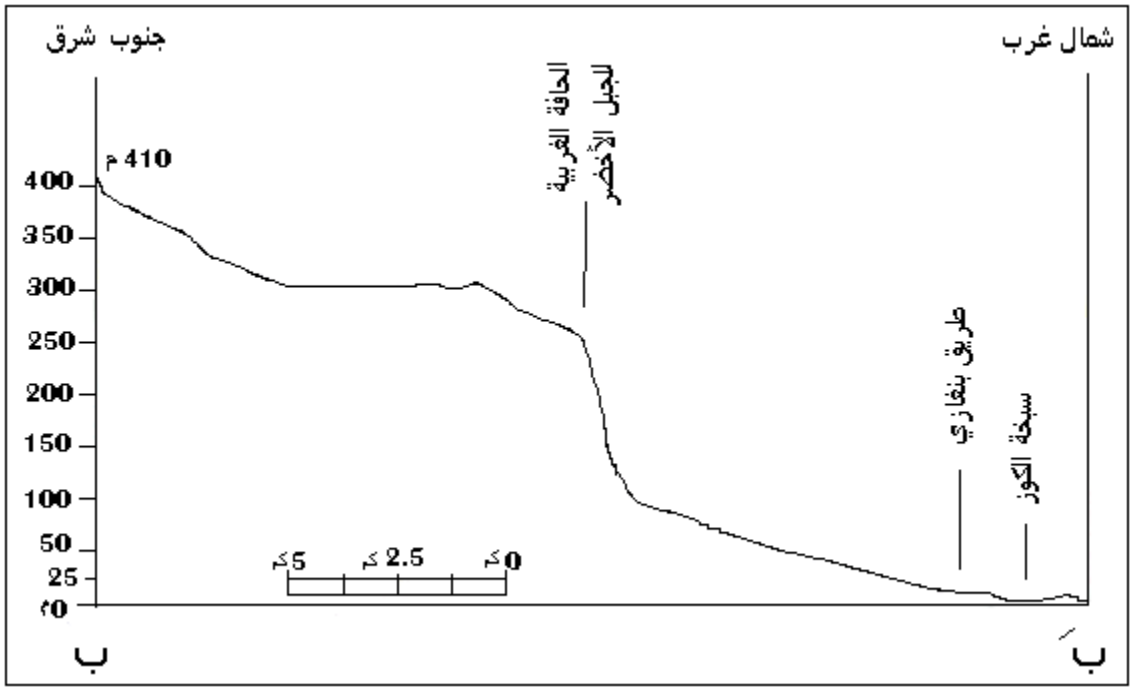

شكل رقم (3): المقطع الطبوغرافي ب ب' في وسط حوض سبخة دريانه.

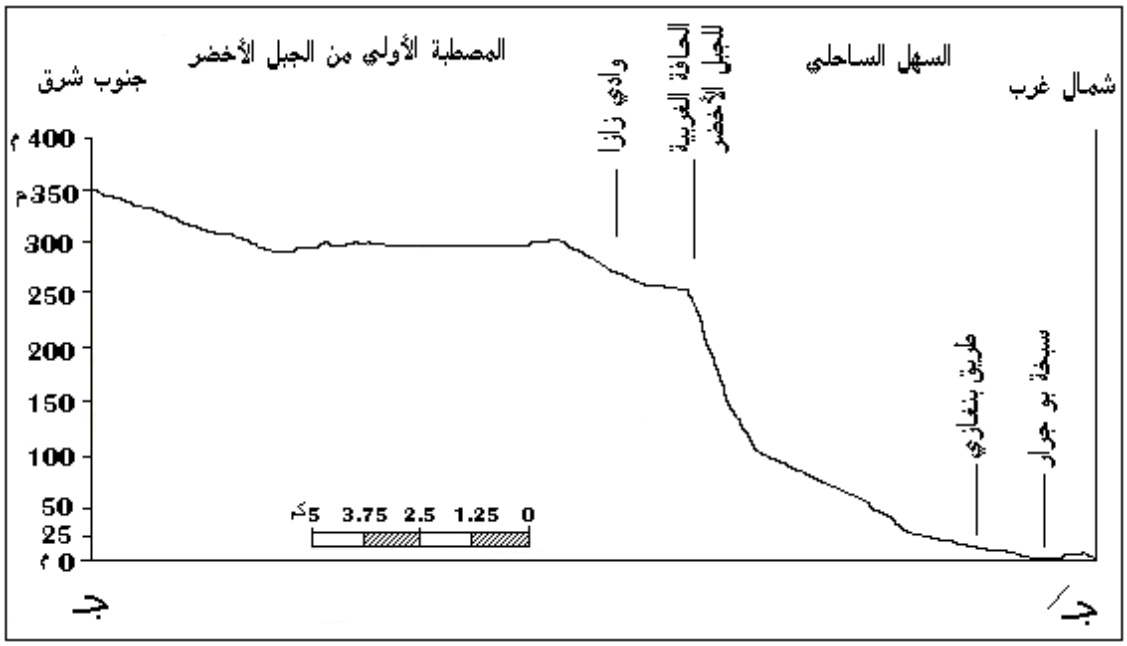

شكل رقم (4): المقطع الطبوغرافي ج ج' في حوض سبخة دريانه (الجهة الشمالية الشرقية).

من أجل معرفة أهمية الحوض الصباب في تغذية السبخة بالمياه القارية تطلب هذا البحث دراسة هيبسومترية للحوض الصباب للسبخة, وكذلك دراسة هيبسومترية لحوض وادي زازا, الذي يعد أهم الأودية

في حوض السبخة, والذي تبلغ مساحته 154.19 كم^2 أي حوالي 24.2 % من مساحة الحوض الصباب للسبخة، شكل (5). هذه الدراسة تبين كيفية توزيع المساحات مع الارتفاع ومدى مساهمة كل قطاع من المساحة بتزويد السبخة بالمياه الجارية، وبذلك فقد تم تقسيم كل حوض إلى 9 قطاعات بفارق رأسي مقداره 50 متر لكل قطاع ما عدا القطاع الأخير 0 . 50م فقد تم تقسيمه لقطاعين 0 . 25م و 25 . 50م، والقطاع الأول بفارق رأسي مقداره 60م أي ما بين 410 . 350 م. بالإضافة إلى أنه تم حساب الارتفاع المتوسط لكل حوض على حده كما هو موضح بالجدولين (3 و 4).

4 ــ 4 ــ 1 ــ الدراسة الهيبسومترية لحوض سبخة دريانه:

من خلال توقيع المساحة التراكمية للقطاعات بالنسبة المئوية على محور س, وارتفاع القطاعات على محور ص، يظهر لنا المنحنى الهيبسومتري للحوض والذي تتوضح عليه المساحات التراكمية, بالإضافة لتوضيح النسبة المئوية لكل قطاع على حده مقابل محور الصادات، وقيمتها ضمن مستطيل يتناسب والنسبة المئوية لمساحة القطاع، جدول (3)، وشكل (5).

القطاع	فرق الارتفاع (م)	المتوسط الحسابي للارتفاع (م)	المساحة (ملم^2)	المساحة (10^6) (م^2)	المساحة (%)	المساحة التراكمية (10^6) (م^2)	المساحة التراكمية (%)	الحجم (10^6) (م^3)	الحجم التراكمي (10^6) (م^3)	الارتفاع المتوسط المكافئ (م)
1	410-350	380	942	58.875	9.24	58.875	9.24	22372.5	22372.5	380
2	350-300	325	2790	174.375	27.37	233.25	36.61	56671.875	79044.375	338.9
3	300-250	275	1540	96.25	15.11	329.5	51.72	3648.75	105513.125	320.2
4	250-200	225	600	37.5	5.89	367	57.61	8437.5	113950.625	310.49
5	200-150	175	120	7.5	1.18	374.5	58.79	1312.5	115263.125	307.78
6	150-100	125	360	22.5	3.53	397	62.32	2812.5	118075.625	297.42
7	100-50	75	1190	74.375	11.68	471.375	74	5578.125	123653.75	262.33
8	50-25	37.5	830	51.875	8.14	523.25	82.14	1945.3125	125599.0625	240.04
9	25-0	12.5	1820	113.75	17.86	637	100	1421.875	127020.9375	**199.41**
المجموع	410-0	205	10192	637	100	637	100	127020.9375	127020.9375	**199.41**

جدول رقم (3): يبين الارتفاع المتوسط للحوض الصباب لسبخة دريانه وكذلك توزيع المساحات بحسب الارتفاع.

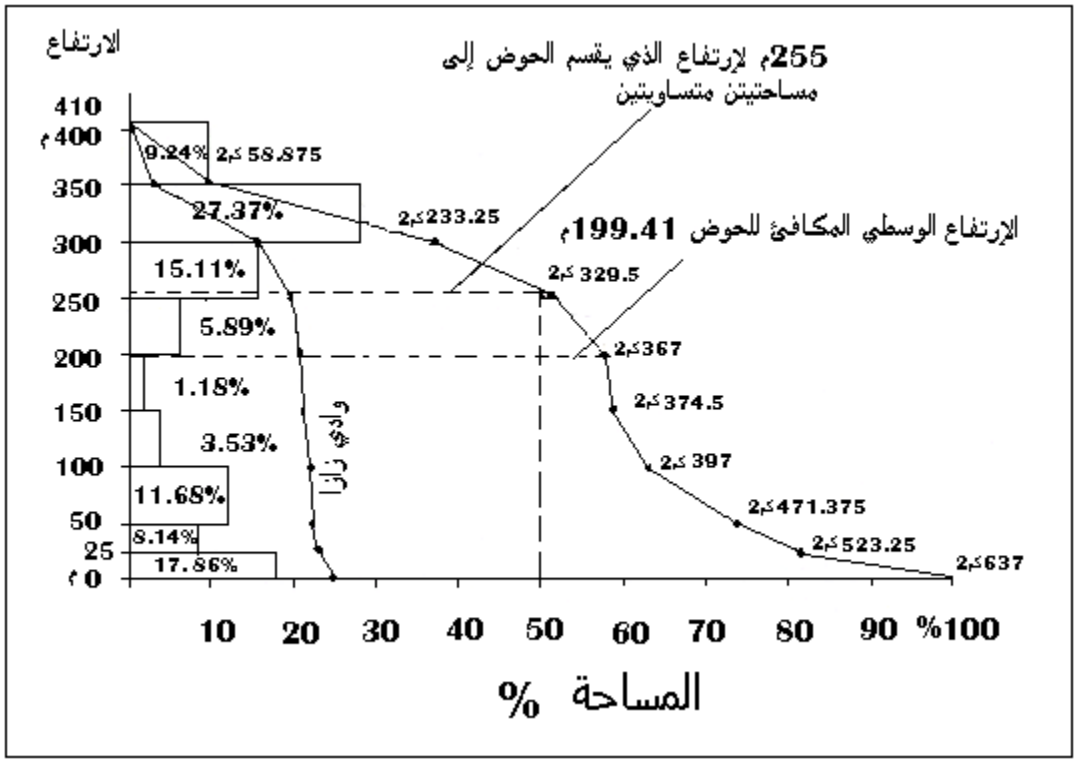

شكل رقم (5): منحنى توزيع المساحات مع الارتفاع بحوض سبخة دريانه، موضحا عليه المنحنى الهيبسومتري لحوض وادي زازا, والارتفاع المتوسط المكافيء للحوض (199.41 م), ومنسوب الارتفاع (255 م) الذي يقسم الحوض لمساحتين متساويتين.

من خلال ملاحظة القيم المبينة في الجدول (3) والمنحنى الهيبسومتري الموضح في الشكل (5) لحوض سبخة دريانه نستنتج الملاحظات التالية:

أ ــ يستأثر القطاع 350 . 300 م بأكبر قدر من مساحة الحوض والتي بلغت 174.375 كم^2, أي ما يعادل نسبة قدرها 27.37 % من المساحة الإجمالية للحوض.

ب ــ إن أقل قيمة للمساحة يمتلكها القطاع 200 . 150م والتي بلغت 7.5 كم^2 , أي ما يعادل نسبة قدرها 1.18 % فقط من مساحة الحوض.

ج ــ إن المنحنـي الهيبسـومتري يأخـذ شـكل المقطـع الطوبـوغرافي لحـوض السـبخة أي أنـه يكـون قليـل الانحـدار مـا بـين 410 و 250 م ثـم ينحـدر بشـدة عنـد القطاعـات 250 . 100م بسـبب صـغر نسـب مساحات هذه القطاعات.

د ــ إن القطاع 50 . 0م من السهل السفلي للحوض يستأثر بحوالي 26 % من المساحة الإجمالية، منها 17.86 % أي حوالي 113.75 كم^2 ضمن القطاع 25 . 0م، وبذلك فإن السبخة تشكل ما نسبته 25.4 % من مساحة هذا القطاع أي حوالي 4.52 % من مساحة الحوض ككل.

هـ ــ إن متوسط ارتفاع الحوض المحسوب من الجدول (3) يساوى 199.41 م وبالتالي فالحوض غير متناظر, إذ أن حوالي 57.61 % من مساحة الحوض تقع فوق هذا الارتفاع.

و ــ من المنحنى الهيبسومتري يظهر بأن الارتفاع الذي يشطر الحوض لمساحتين متساويتين تبلغ قيمته 255م أي أن نصف مساحة الحوض تقع فوق هذا الارتفاع, وذلك ما يعزز وضع السبخة المائي؛ لأن تغذية السبخة بالجريان السطحي تكون أكبر كلما زادت نسبة التضاريس المرتفعة بالحوض. وهذا ما يؤكده على الواقع كثرة الأودية الخانقية التي تخترق الحافة الغربية للجبل الأخضر والتي من أهمها وادي زازا.

4 ــ 4 ــ 2 ــ الدراسة الهيبسومترية لحوض وادي زازا:

من ملاحظة الجدول رقم (4) والشكل رقم (6) نستطيع أن نستنتج الملاحظات التالية:

أ ــ إن القطاعات العليا من حوض هذا الوادي تستأثر بالنسب الكبيرة من مساحة الحوض, فمساحة القطـاع 350 . 300م تسـتأثر بـأكثر مـن نصـف مسـاحة الحـوض, إذ تبلـغ 84.375 كـم^2 أي مـا نسبته54.72 %، وبذلك فإن حوالي 79.26 % من مساحة وادي زازا تقع على المصطبة الأولى للجبل الأخضر أي ما بين و410م و 250 م. أما بقية القطاعات في هذا الحوض فلا تشكل إلا نسب صغيرة من المساحة فهي تتراوح ما بين 1.62 % للقطاع 150 . 100م, و 7.7% للقطاع 50 . 0 م. إن صغر مساحات هذه القطاعات راجع لصغر عرض حوض الوادي نتيجة شدة ميله اعتباراً من حافة الجبل مروراً بالسهل، كما أن الكبر النسبي للقطاع السفلي من الوادي (50 . 0م) يرجع إلى قلة ميل هذا القطاع، أي إلى كبر طول الوادي ضمن هذا القطاع وخاصة ضمن القطاع 25 . 0م والذي تبلغ نسبته 5.67 %.

القطاع	فرق الارتفاع (م)	المتوسط الحسابي للارتفاع (م)	المساحة ($ملم^2$)	المساحة (10^6) ($م^2$)	المساحة (%)	المساحة التراكمية (10^6) ($م^2$)	المساحة التراكمية (%)	الحجم (10^6) ($م^3$)	الحجم التراكمي (10^6) ($م^3$)	الارتفاع المتوسط المكافئ (م)
1	410-350	380	284	17.75	11.51	17.75	11.51	6745	6745	380
2	350-300	325	1350	84.375	54.72	102.125	66.23	27421.875	34166.875	334.559
3	300-250	275	420	26.25	17.03	128.375	83.26	7218.75	41385.625	322.38
4	250-200	225	80	5	3.24	133.375	86.5	1125	42510.625	318.73
5	200-150	175	50	3.125	2.03	136.5	88.53	564.875	43057.5	315.439
6	150-100	125	40	2.5	1.62	139	90.15	312.5	43370	312.01
7	100-50	75	53	3.3125	2.15	142.3125	92.3	248.4375	43618.4375	306.49
8	50-25	37.5	50	3.125	2.03	145.4375	94.33	117.1875	43735.625	300.717
9	25-0	12.5	140	8.75	5.67	154.1875	100	109.375	43845	**284.36**
المجموع	410-0	205	2467	145.1875	100	154.1875	100	43845	43845	**284.36**

جدول رقم (4): يبين حساب متوسط ارتفاع حوض وادي زازا كذلك توزيع المساحات لهذا الحوض بحسب الارتفاع.

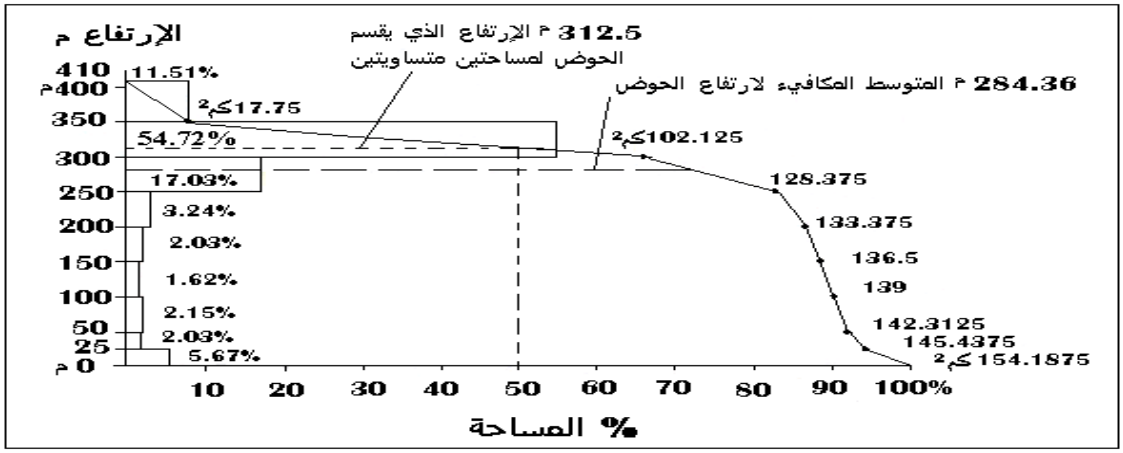

شكل رقم (6): منحني توزيع المساحات مع الارتفاع بحوض وادي زازا, والارتفاع المتوسط المكافئ للحوض (284.36 م), ومنسوب الارتفاع (312.5 م) الذي يقسم الحوض لمساحتين متساويتين.

ب . إن متوسط ارتفاع حوض وادي زازا المبين في الجدول (4) يبلغ 284.36 م، وهذا هو السبب في عدم تناسق المنحنى الهيبسومتري لهذا الحوض نتيجة بعده عن التناظر, شكل (6)، وذلك ناتج عن كبر المساحات التي تحتلها الأجزاء العليا من الحوض, وهذا ما يعزز وضعه المائي كما أوضحنا سابقاَ.

ج . إن الارتفاع الذي يقسم الحوض لشطرين متساويين يبلغ 312.5 م، وهذا من الأسباب التي تجعل وادي زازا أهم الأودية في حوض السبخة, إذ تستقبل المساحات العليا من هذا الحوض كميات لا بأس بها من الأمطار التي تؤدي إلى نشوء الجريان في هذا الوادي.

د . إن متوسط ارتفاع حوض وادي زازا أكبر من متوسط ارتفاع حوض السبخة ككل, وذلك يرجع إلى أن وادي زازا يستأثر بأغلب المناطق الهضبية المرتفعة لحوض السبخة ولم يدخل في حسابه إلا القليل من المناطق السهلية قليلة الارتفاع.

إن مياه هذه الأودية يرشح قسم كبير منها في السهل الساحلي، البالغة مساحته 240 كم^2 أي حوالي 37.68 % من مساحة حوض السبخة، والتي ينصرف قسم كبير منها في السبخة عن طريق الخاصة الشعرية والتبخر, وقسم قليل من هذه المياه الجارية يصل مباشرةَ إلى السبخة عند مصبات هذه الأودية حاملاَ معه المواد الناعمة و الأملاح المنحلة ليرسبها في أرض السبخة.

4 ــ 4 ــ 3 ــ الوضع الطوبوغرافي لسبخة دريانه:

إن الميل في السبخة نفسها غير متناظر، ففي الجهات الجنوبية منها يكون الميل من الداخل (جانب السهل الساحلي) باتجاه وسط السبخة مساوياَ 0.06 % في سبخة بو جرار، و 0.07 % في سبخة الكوز. أما الميل من الشمال (جانب الشاطئ) باتجاه وسط السبخة يساوي 0.01 % فقط، وبالتالي عند انحسار مياه السبخة تتركز الأملاح وتتزهر في الجزء الأقل ارتفاعاَ والأقرب من حوافها الشمالية, صورتين (1 و 3).

4 ــ 5 ــ المناخ:

تخضع منطقة سبخة دريانه الشاطئية، الواقعة على خط عرض 32^0 ، للمناخ المتوسطي شبه الجاف السائد في المنطقة الشاطئية لسهل بنغازي، وبمساعدة معطيات محطة العقورية المناخية يظهر بأن المناخ في هذه المنطقة يبدو حسب علاقة دي مارتون شبه رطب كما تبينه الدراسة المناخية التالية، جدول (5).

4 ــ 5 ــ 1 ــ الحرارة:

يوضح الشكل رقم (7) النظام الحراري لمحطة العقورية القريبة من السبخة وذلك خلال فترة الرصد الممتدة من 1929 وحتى 1940 (Selkhozprom Exp.)، إذ تنخفض درجات الحرارة الوسطية الشهرية في فصل الشتاء لتصل لأقل معدل لها في شهر يناير(1), حيث تبلغ 14^0م، كما إنها ترتفع في فصل الصيف لتبلغ أعلى قيمة لها في شهر أغسطس(8), حيث تبلغ 25.8^0 م، وبناءاَ على متوسطات

درجات الحرارة الشهرية فإن متوسط درجة الحرارة السنوية للمنطقة يساوى 20.1^0 م. إن متوسط درجات الحرارة العظمى تتراوح ما بين 17.8^0م في شهر يناير و29.3^0 م في شهر أغسطس. كذلك تصادف اقل قيمة لمتوسط درجات الحرارة الدنيا في شهري يناير وفبراير إذ تبلغ 10.3^0 م، وتبلغ أعلى قيمة لها في شهر(8) أيضاَ, إذ تبلغ 22.3^0 م.

من خلال ذلك يتبين بأن المدى الحراري اليومي وهو الفرق ما بين متوسط درجات الحرارة العظمى والدنيا يتراوح ما بين 7^0م في شهر أغسطس و10.4^0 م في شهر إبريل، وبناءاَ عليه فتغير المدى الحراري اليومي في هذا المناخ الساحلي لا يتجاوز 4^0 م كما توضحه الدورة الحرارية لمحطة العقورية، شكل (8).

4 ــ 5 ــ 2 ــ الأمطار:

تخضع منطقة السبخة لنظام الأمطار المتوسطي، شكل (9). حيث تصادف الأمطار الأشهر الباردة من السنة وتبلغ ذروتها في شهر (12), إذ تبلغ 80.5 ملم, وفي شهر (1) تبلغ 79 ملم., وتتناقص كمياتها في الأشهر الحارة من السنة حتى تنقطع تماماَ في أشهر الصيف كما هو الحال في شهر (7)، إن قيمة الأمطار السنوية في هذه المنطقة بحدود 310 ملم.

4 ــ 5 ــ 3ــ الرطوبة النسبية:

إن معدلات الرطوبة النسبية لا تعاني من تغيرات شهرية كبيرة، شكل رقم (9)، فهي تتراوح ما بين 57 % في شهر (4)، حيث يرتفع المدى الحراري اليومي، و70 % في شهري (7 و 8) وذلك لقرب البحر وشدة التبخر الصيفي نتيجة ارتفاع درجات الحرارة.

الأشهر	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	السنوي
متوسط درجة الحرارة $\frac{M+m}{}$	14.0	14.3	16.2	18.5	21.3	23.3	24.9	25.8	24.8	23.1	19.6	15.6	**20.1 ($م^0$)**
متوسط درجة الحرارة العظمى M	17.8	18.3	20.6	23.7	26.3	27.8	28.5	29.3	28.9	27.5	23.7	19.3	**24.3 ($م^0$)**
متوسط درجة الحرارةالصغرى m	10.3	10.3	11.7	13.3	16.4	18.8	21.3	22.3	20.8	18.6	15.6	11.9	**15.8 ($م^0$)**
المدى الحراري اليومي M−m	7.5	8.0	8.9	10.4	9.9	9.0	7.2	7.0	8.1	8.9	8.1	7.4	**8.4 ($م^0$)**
الأمطار	79.0	41.8	25.7	9.4	2.8	0.1	0.0	0.1	2.4	23.3	46.1	80.5	**311.**

2 (ملم)												**P**
65 (%)	67	61	61	67	70	70	67	65	57	62	65	66	**الرطوبة النسبية RH**
10.3	37.7	18.6	8.4	0.8	0.03	0.0	0.03	1.1	3.9	11.7	20.6	39.5	**معامل الجفاف (a_i ، a)**

جدول رقم (5): يبين بعض البيانات المناخية لمحطة العقورية المحاذية لسبخة دريانه خلال فترة الرصد ل12 سنة تمتد من 1929 حتى 1940.

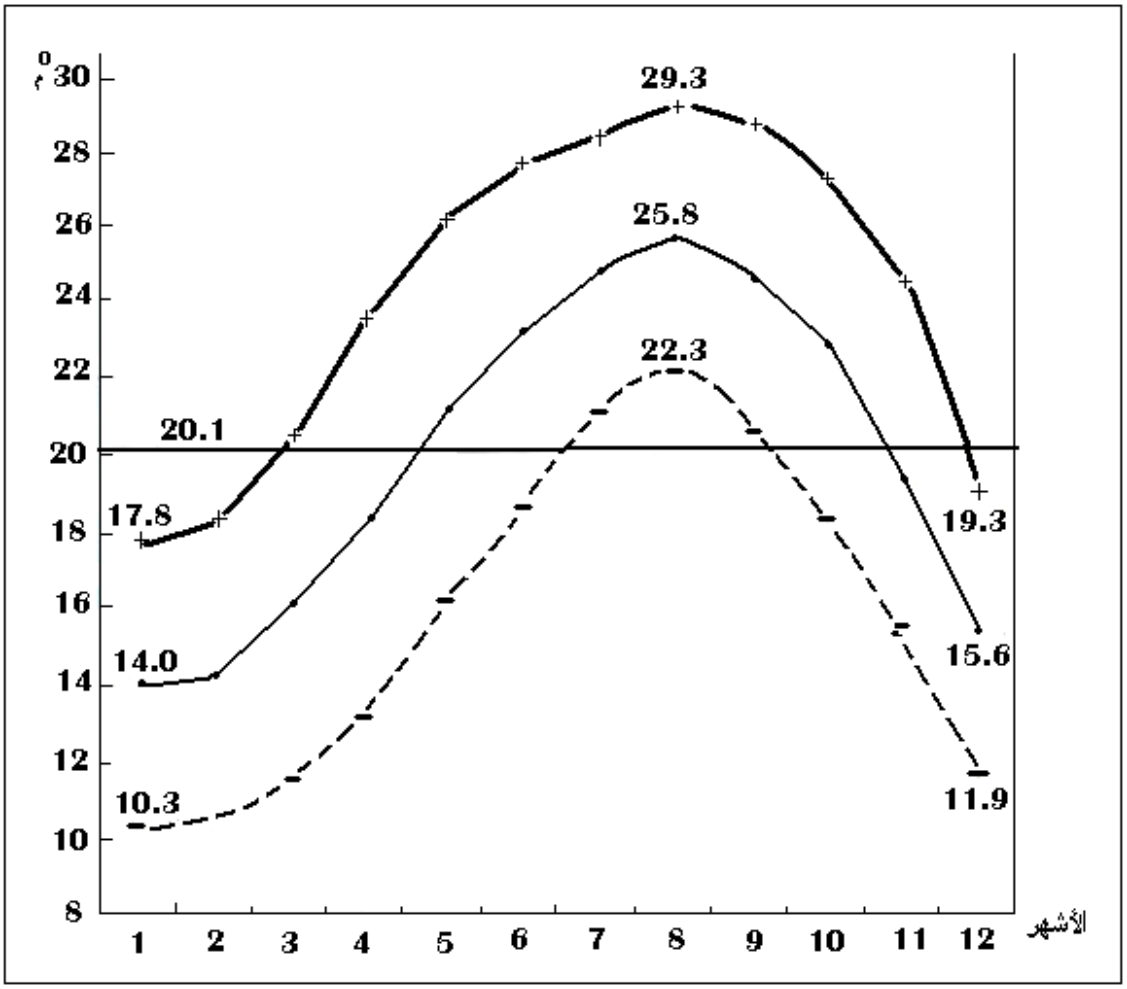

شكل رقم (7): النظام الحراري لمحطة العقورية.

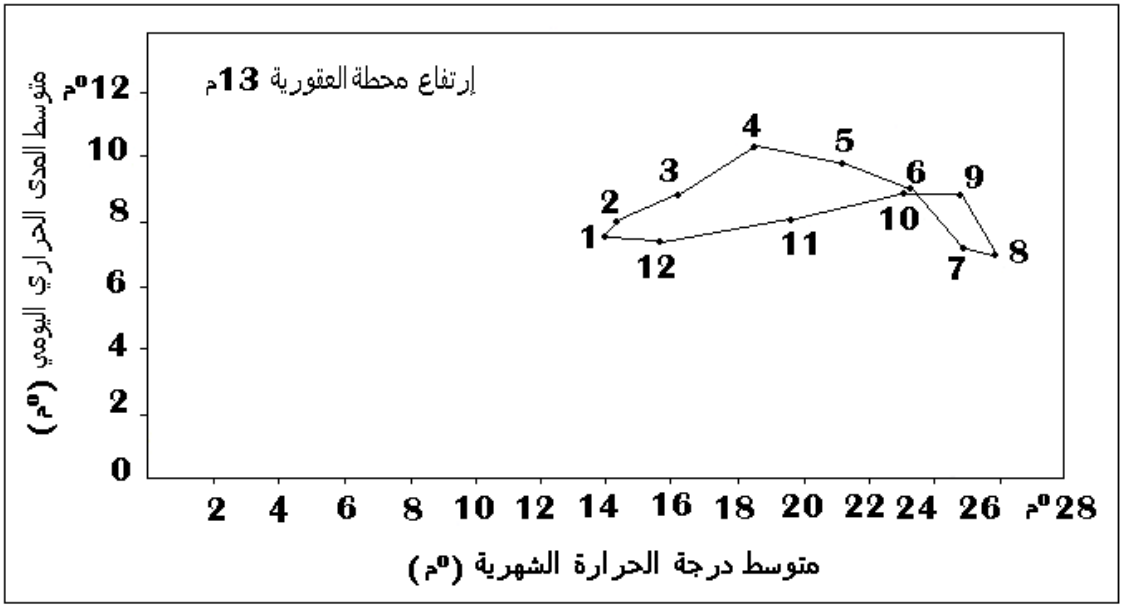

شكل رقم (8): الدورة الحرارية لمحطة العقورية.

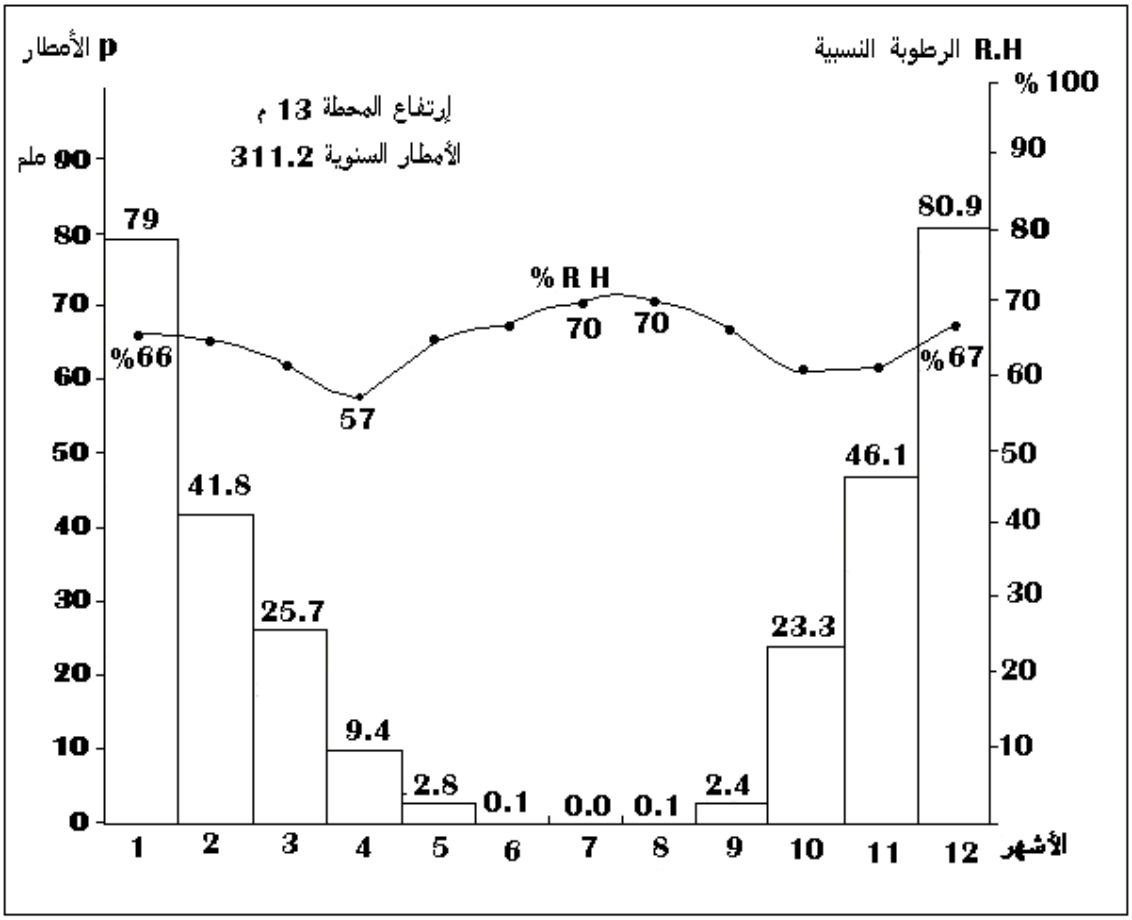

شكل رقم (9): النظام المطري والرطوبة النسبية في محطة العقورية.

4 ــ 5 ــ 4 ــ معامل الجفاف أو القيمة الفعلية للأمطار:

من خلال دراسة معامل الجفاف السنوي حسب علاقة دي مارتون $a = \frac{P}{10 + T}$

حيث a : معامل الجفاف أو القيمة الفعلية للأمطار (بدون وحدة).

T : متوسط درجة الحرارة السنوية (بالدرجة المئوية).

P : معدل الأمطار السنوية (ملم).

يظهر بأن قيمة معامل الجفاف السنوية تساوى 10.3، ومنه يتبين بأن منطقة السبخة تقع على الحدود الفاصلة ما بين المناخ المتوسطي شبه الجاف, الذي حدوده (a من 5 إلى 10) والمناخ المتوسطي شبه الرطب. وهي أقرب لأن تقع في بداية الحدود الدنيا للمناخ شبه الرطب الذي تحدده قيمتي معامل الجفاف (a من 10 إلى 20)، شكل (10).

4 ــ 5 ــ 6 ــ معامل الجفاف الشهري: $a_i = \frac{12P_i}{10 + T_i}$

حيث a_i : معامل الجفاف الشهري للشهر i.

p_i و T_i : أمطار ودرجة حرارة الشهر الموافق.

من أجل توضيح كيفية تغير المناخ الفصلي للمنطقة تم اعتماد دراسة قيم معاملات الجفاف (القيمة الفعلية للأمطار الشهرية) لأشهر السنة, ورسم منحنى معامل الجفاف الشهري الذي يمثل الدورة المناخية للمنطقة خلال سنة، شكل (11). وبناءاً عليه فإن الأشهر (1) و(2) يمثلان الفصل الرطب جداً في منطقة محطة العقورية خلال فترة الرصد المعتمدة، والشهر (2) يمثل الفصل الرطب، أما شهر (11) وشهر (3) فمناخهما شبه رطب، والشهر (10) يمثل الفصل شبه الجاف، أما الأشهر (4, 5, 6, 7, 8 و9) فتمثل الفصل الجاف الذي يمتد لفترة ستة أشهر في هذه المنطقة.

وبحسب القيمة الفعلية للأمطار فإن الأشهر ذات المناخ الرطب جداّ هي التي يحتمل فيها حدوث جريان الأودية وهي شهري (1) و(12)، يليها بالأهمية شهر (11) ثم شهر (2)، أما بقية الأشهر فاحتمال حدوث الجريان فيها يكون ضعيف إلى معدوم. تجدر الإشارة إلى أن المناخ شبه الجاف السائد في بيئة السبخة يعد وليد تتابع هذه الفصول المناخية على مدار السنة.

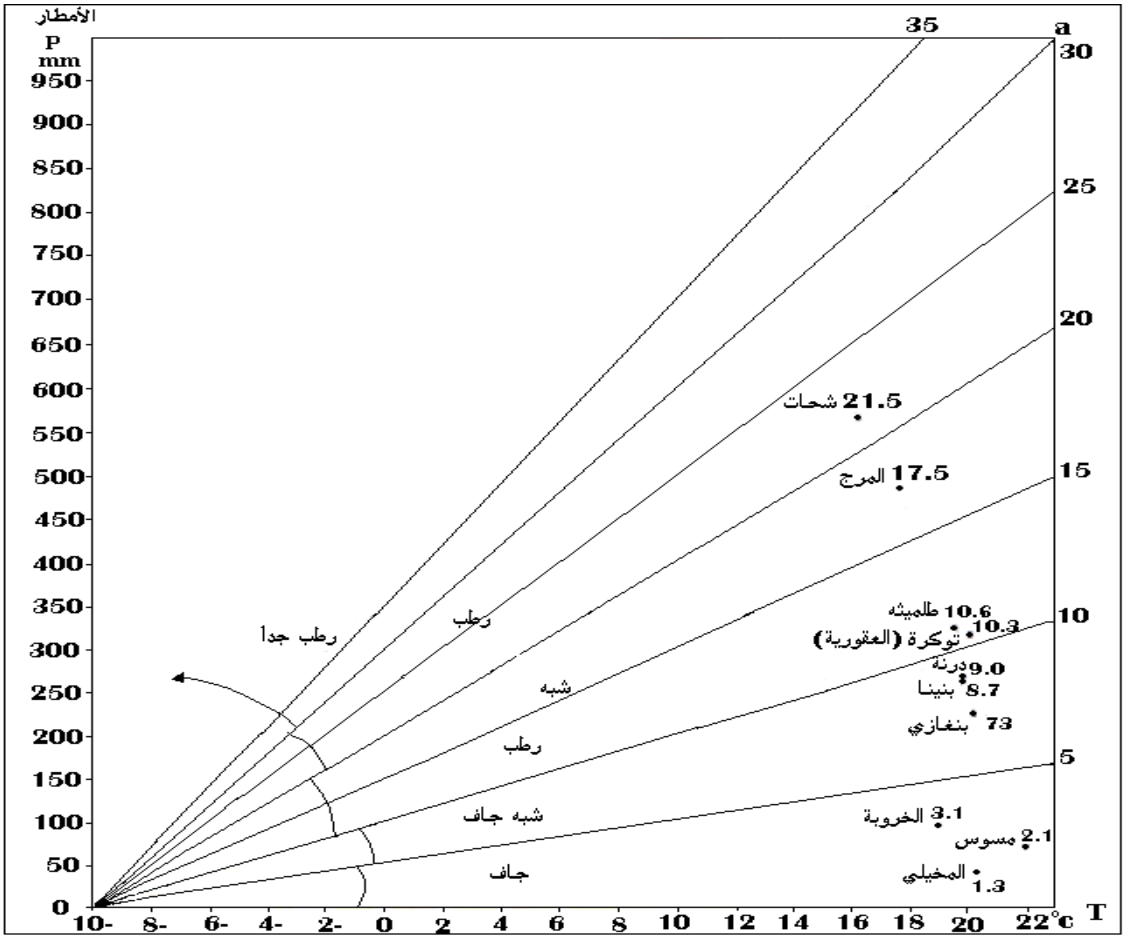

شكل رقم (10): تصنيف مناخ محطة العقورية (توكرة) بحسب معامل الجفاف السنوي (a).

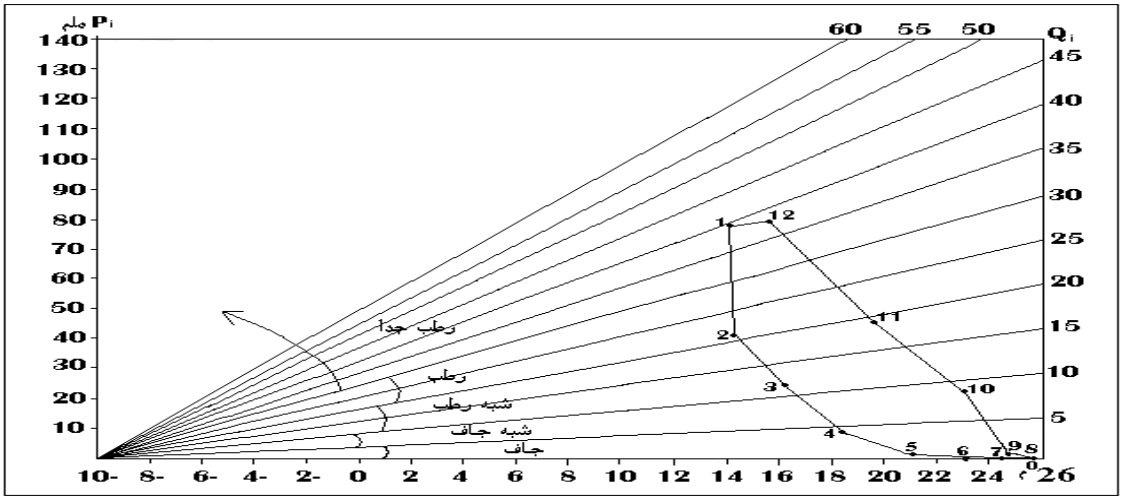

شكل رقم (11): تصنيف المناخ الفصلي في محطة العقورية بحسب منحني معامل الجفاف الشهري (a_i).

4 ــ 6 ــ التربة:

لقد تمت دراسة التربة في بيئة سبخة دريانة من خلال 9 عينات أخذت من مواقع مختلفة والتي يوضح مواقعها الشكل (12). لقد تناول هذا البحث دراسة درجة الحموضة pH, وكذلك التوصيل الكهربي Ec، بالإضافة للتحليل الميكانيكي من أجل معرفة وتصنيف الترب بحسب قوامها، وتمت هذه القياسات في مختبر قسم التربة والمياه بجامعة عمر المختار.

4 ــ 6 ــ 1 ــ الأس الهيدروجينيpH :

من خلال قيم الـ pH المتقاربة لجميع العينات المختارة من بيئة السبخة يتبين بأن هذه الترب هي قاعدية إذ تبلغ قيمة الـ pH 7.7 في العينة رقم (5) وترتفع إلى 8.8 في العينة رقم (7)، جدول رقم (6).

4 ــ 6 ــ 2 ــ التوصيل الكهربي Ec:

تصنف الترب حسب قيم Ec إلى الأصناف الأربعة التالية:

0 . 4 مليموز/سم خالية من الأملاح.

4 . 8 مليموز/سم متوسطة الملوحة.

8 . 15 مليموز/سم ملحية.

أكثر من 15 مليموز/سم تربة شديدة الملوحة.

إن مقارنة قيم التوصيل الكهربي لعينات ترب سبخة دريانه مع التصنيف الأمريكي الصادر عن الجمعية الأمريكية لعلوم التربة (U.S.D.A)، يظهر بأن العينات التي أخذت من الجهات القريبة من السبخة كانت شديدة الملوحة، وكلما ابتعدنا عن السبخة تقل الملوحة في التربة. فالترب شديدة الملوحة تمثلها العينات (1, 2, 4, 5, 6 و 9), أما الترب الخالية من الأملاح فتمثلها العينات (3, 7 و 8).

وبالنتيجة تتركز الترب الخالية من الأملاح في المناطق ذات القوام الرملي والتي تغطيها الكثبان الرملية التي تفصل السبخة عن البحر (عينة 7 وعينة 8)، لذلك فهي معرضة للغسل بواسطة مياه الأمطار، وذلك هو الحال بالنسبة للعينة رقم (3) التي أخذت من الضفة الشرقية لسبخة بو جرار، إذ يسود الرمل على قوام تربة هذه الضفة التي تعلو قليلاً أرض السبخة (وتحوي على بقايا أصداف بحرية) وتبلغ نسبة الرمل في هذه العينة 75 % ولذلك فهي تربة غير ملحية مع أنها محاطة بترب طينية ملحية، مما يؤكد بأن الرمل يساعد على غسل الأملاح من التربة على ضفاف السبخة المرتفعة قليلاً عن منسوبها. أما الترب شديدة الملوحة فتتواجد في المناطق ذات القوام الطيني في جنوب وجنوب شرق السبخة والتي لا تتعرض للغسيل، لذلك فهي ترب شديدة الملوحة، جدول (6).

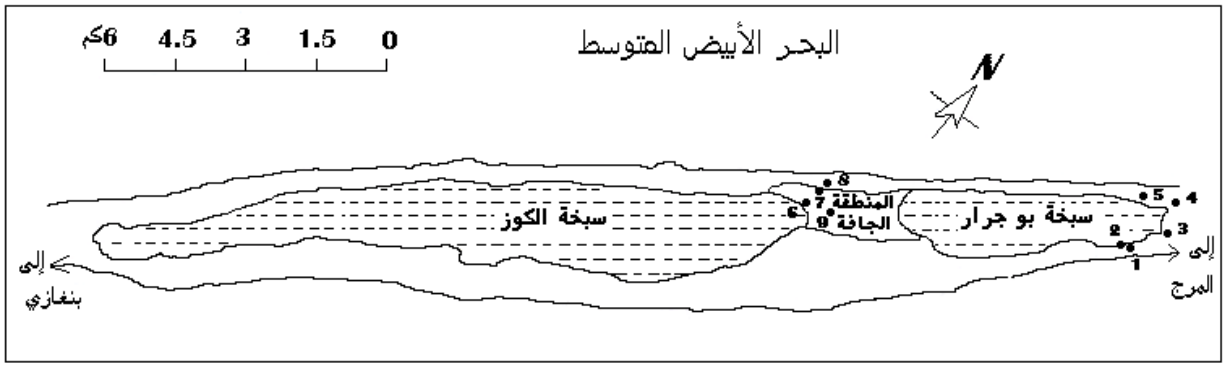

شكل رقم (12): يبين مواقع عينات التربة المدروسة في بيئة سبخة دريانه.

4 ــ 6 ــ 3 ــ التحليل الميكانيكي للتربة وتصنيفها بحسب القوام (نسيج التربة):

من أجل تصنيف الترب بحسب قوامها في بيئة سبخة دريانه اعتمد في هذا البحث حساب النسب المئوية للمكونات المعدنية للتربة وهي الرمل (Sand) والغرين (Silt) والطين (Clay) وهذه المكونات تصنف عادةً اعتماداً على مقاييس حبيباتها كالتالي:

الرمل : وقطر حبيباته يتراوح ما بين 2000 و 50 ميكرون.

الغرين (السيلت) : وقطر حبيباته يتراوح ما بين 50 و 2 ميكرون.

الطين : وقطر حبيباته أقل من 2 ميكرون.

يبين الجدول (6) نتائج التحليل الميكانيكي لعينات ترب سبخة دريانة وتصنيفها بحسب قوامها, كما يبين الشكل (13) كيفية تصنيف عينات هذه الترب حسب مثلث القوام المعتمد في التصنيفات والمختبرات الأمريكية U.S.D.A وهذا المثلث يقسم إلى 12 قطاع كل منها يمثل قوام واحد للتربة.

من خلال ذلك يظهر بأن أرض السبخة تغلب عليها التربة الطينية كما تؤكده العينات (2, 4, و 5)، أما الأطراف الشرقية فتغلب عليها الترب الطميية السلتية كما هو الحال في العينة (1) والعينة (6)، وفي المنطقة الجافة الفاصلة ما بين السبختين تغلب عليها التربة الطميية الطينية المتمثلة في العينة (9). في الجهات الشمالية من السبخة تسود التربة الرملية المتمثلة في العينتين (7 و 8). على ضفاف السبخة الجنوبية الشرقية (سبخة بو جرار) يظهر تأثير الرياح الشمالية الغربية بوجود تربة طينية رملية والتي يغلب على تركيبها الرمل وذلك هو حال العينة رقم (3). وبالنتيجة تسود التربة الرملية في الجهات الشمالية من السبخة، أما في الجهات الجنوبية والشرقية منها فتسود الترب الطينية والطميية الطينية خلف ضفاف السبحة، وفي الجهات الشرقية وعلى الضفاف الشرقية والجنوبية الشرقية تسود ترب طميية طينية رملية وترب طميية سلتية.

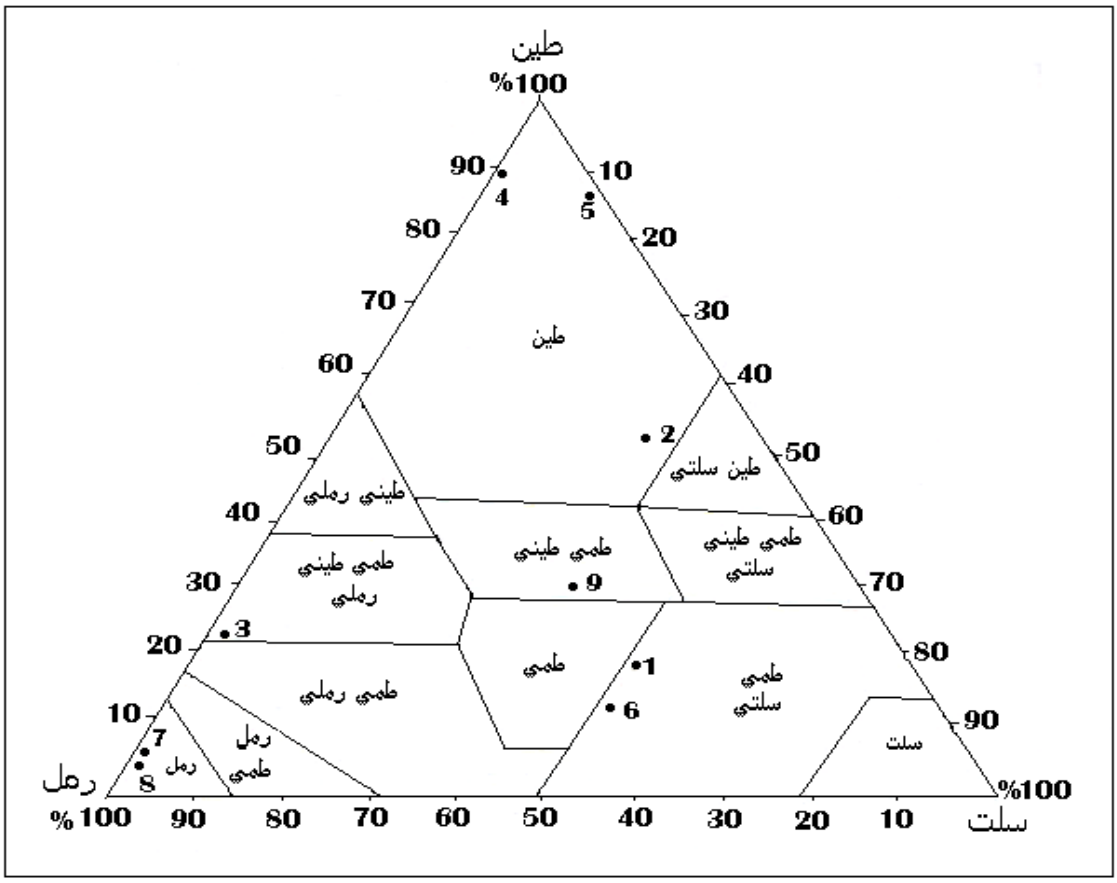

شكل رقم (13): تصنيف عينات ترب سبخة دريانة حسب مثلث القوام.

رقم العينة	pH	المفصولات (%)			القوام (نسيج التربة)	التوصيل الكهربي Ec مليموز/سم	تصنيف التربة حسبEc
		طين	سلت	رمل			
1	7.9	16	51	33	طمييه سلتيه	45.1	شديدة الملوحة
2	7.8	50	36	14	طينية	26.7	شديدة الملوحة
3	8.0	23	2	75	طمييه طينية رملية	1.6	خالية من الأملاح
4	7.8	89	2	9	طينية	19.9	شديدة الملوحة
5	7.7	85	14	1	طينية	34.7	شديدة الملوحة
6	7.8	14	52	34	طمييه سلتية	24.7	شديدة الملوحة
7	8.8	7	1	92	رملية	1.0	خالية من الأملاح
8	8.5	7	0	93	رملية	0.5	خالية من الأملاح
9	7.7	27	41	32	طمييه طينية	23.6	شديدة الملوحة

جدول رقم (6): يبين نتائج التحاليل المختلفة وتصنيف عينات ترب بيئة سبخة دريانه.

4 ــ 7 ــ المياه وتغير نوعيتها في بيئة سبخة دريانة:

من أجل معرفة تغير نوعية المياه (جوفية وسطحية) في منطقة السبخة من الداخل باتجاه الشاطئ أخذت عشر عينات مائية موضحة أماكنها في الشكل رقم (14) وهذه العينات مأخوذه على الشكل التالي:

العينات (1, 2 و5) مأخوذة من سبخة بو جرار.

العينة (3) مأخوذة من شاطئ البحر الأبيض المتوسط.

العينة (4) مأخوذة من بئر بو جرار (أبعاده 10×15) ويقع على بعد حوالي 300 م جنوب شرق سبخة بو جرار، ويظهر فيه على عمق 1.1م من سطح الأرض منسوب المياه الجوفية.

العينات (6, 7 و9) مأخوذة من آبار موجودة بالمزارع المحاذية للطريق العام (على يمين طريق المرج - بنغازي) وعلى أعماق تتراوح ما بين 10 و15 م من سطح الأرض.

العينتان (8 و10) مأخوذتان من أحد الممرات التي توصل مياه أمواج البحر بسبخة الكوز.

لقد تمت دراسة تغير الملوحة في مياه بيئة السبخة عن طريق قياس التوصيل الكهربي Ec بوحدة مليموز /سم، وكذلك عن طريق قياس تركيز الأملاح بوحدة غ/مل؛ ومن ثم بالنسبة المئوية وبوحدة جزء بالمليون, وذلك بعد قياس وزن الأملاح المنحلة في المياه والمترسبة بعد التجفيف على درجة حرارة 105^0م.

إن الجدول رقم (7) يبين نتائج تحليل هذه العينات المائية, إذ يظهر فيه أنه بحسب قيم Ec المعتمدة من قبل الجمعية الأمريكية لعلوم التربة فإن هذه العينات المائية تصنف كلها بأنها مالحة جداً لأن قيم الـ Ec تزيد فيها جميعاً عن 2.25 مليموز /سم، مع العلم بأن أقل قيمة للتوصيل الكهربي توافق العينة رقم (7) وتساوى 3.3 مليموز/سم، وهذه العينة تمثل المياه الجوفية في قرية المبنى على بعد حوالي 1.5 كم جنوب السبخة، كما أن أكبر قيمة للتوصيل الكهربي تظهر في العينة رقم (5) وتساوى 101.1 مليموز/سم وهذه العينة تمثل مياه السبخة.

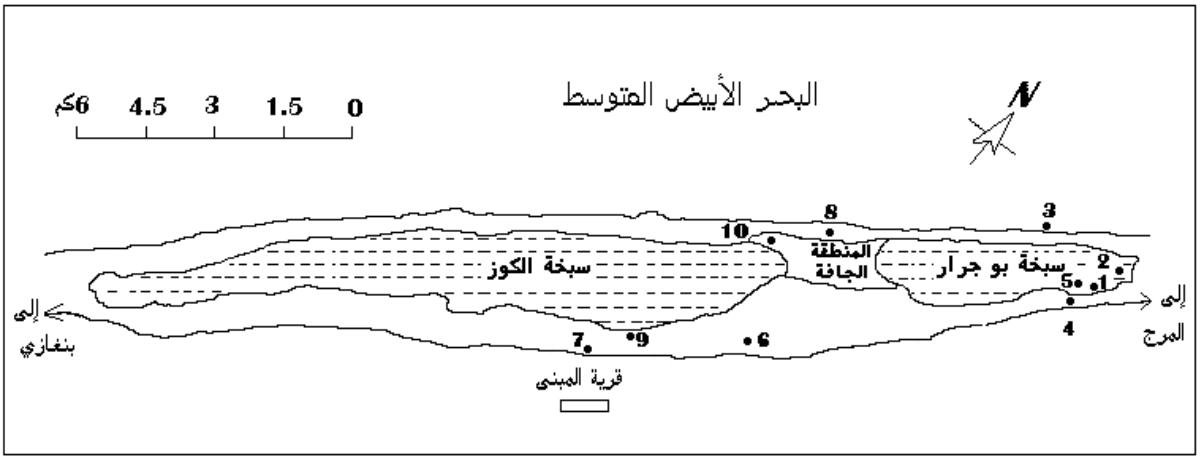

شكل رقم (14): يبين مواقع عينات المياه المدروسة في بيئة سبخة دريانه.

رقم العينة	Ec مليموز/سم	تركيز الأملاح (جم/مل)	النسبة المئوية للأملاح %	تركيز الأملاح (جزء بالمليون) ppm	تصنيفها بحسب Ec
1	100.6	0.0959	9.59	95900	مالحة جداً
2	98.5	0.093	9.3	93000	مالحة جداً
3	53	0.04322	4.32	43220	مالحة جداً
4	11.8	0.00784	0.784	7840	مالحة جداً
5	101.1	0.10866	10.866	108660	مالحة جداً
6	7.7	0.00512	0.512	5120	مالحة جداً
7	3.3	0.00168	0.168	1680	مالحة جداً
8	71.5	0.0731	7.31	73100	مالحة جداً
9	11	0.0082	0.82	8200	مالحة جداً
10	77.9	0.0728	7.28	72800	مالحة جداً

جدول رقم (7): يبين نتائج التحليلات المخبرية وتصنيف عينات مياه بيئة سبخة دريانه.

من أجل إيضاح كيفية تغير تركيز الأملاح (الملوحة) في مياه السبخة، أسقطت مواقع العينات على محور س (الذي يمثل المسافة) وتركيز الأملاح (%) على محور ص ، وذلك لمعرفة كيفية تغير منحنى تركيز الأملاح بحسب البعد عن السبخة، شكل رقم (15).إذ يظهر من هذا المنحنى بأن المياه الجوفية للمنطقة التي تقع على يمين طريق المرج – بنغازي يزداد فيها تركيز الأملاح كلما اقتربنا من السبخة, حيث يبلغ ذروته في السبخة في العينة رقم (5) والذي يبلغ 10.866 % وهذا التركيز يقل كلما اتجهنا جنوباً حتى يبلغ 0.168 % في العينة رقم (7). وكذلك فإنه يتناقص كلما اتجهنا من السبخة باتجاه البحر الذي يبلغ تركيز الأملاح في مياهه 4.32 % المتمثلة في العينة رقم (3).

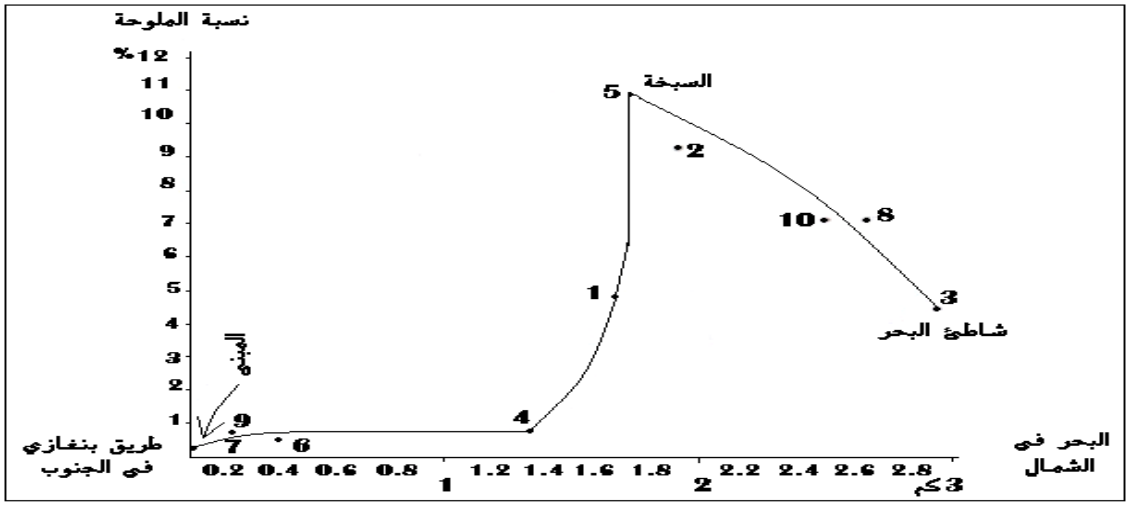

شكل رقم (15): منحنى يبين تغير نسبة الملوحة (%) لمياه بيئة سبخة دريانه من جانب طريق المرج – بنغازي مرورا بالسبخة وحتى شاطئ البحر.

4 – 8– الغطاء النباتي:

نتيجة الحصر الأولي لنباتات المنطقة المحيطة بالسبخة أمكن تمييز مجموعتين من الأنواع النباتية هما:

أ– مجموعة نباتات الترب الرملية (الكثبان الرملية) والتي اشتملت على الأنواع التي يضمها الجدول رقم (8), كما يوضح الشكل رقم (16) انتشار هذه الأنواع على كثيب رملي.

اسم النوع المحلي	الاسم العلمي
الديس	*Juncus maritimus lam.*
الجداري	*Rhus tripartita usria.*
الرتم	*Retama reatam l.*
العوسج	*Lycium spp.*
المرار	*Centaurea eryngioides lam.*
بو كروبة	*Zygophyllum album l.*
البختري (إبرة العجوز)	*Erodium cicutareum (l) pher.*
الرمرام	*Chenopodium murala l.*
الحلبلوب	*Euphorbia paralias l.*

جدول رقم (8): الأنواع النباتية النامية على الكثبان و الترب الرملية في منطقة الدراسة.

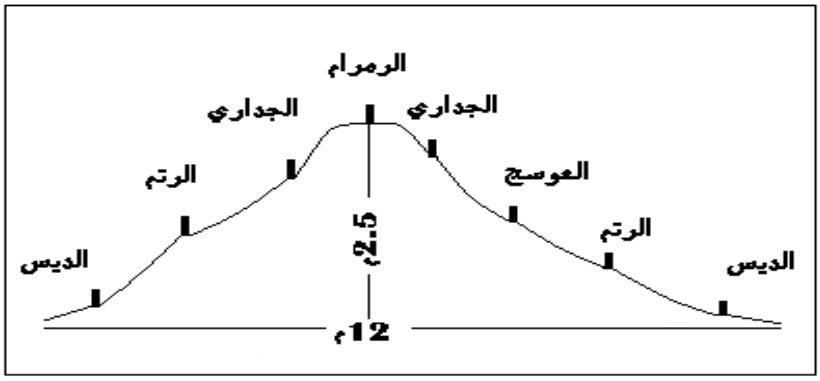

شكل رقم (16): يبين توزيع الأنواع النباتية على كثيب رملي في المنطقة المدروسة, ارتفاع الكثيب حوالي 2.5 م, وعرضه حولي 9 م.

ب – مجموعة نباتات الترب المالحة والتي اشتملت على الأنواع التي يوضحها الجدول رقم (9) التالي:

اسم النوع المحلي	السم العلمي
الزيتا (تفاح البحر)	*Limonistrum monopetalum l.*
الطرفاء (الأثل)	*Tamarix spp.*
السويده	*Suaeda spp.*
البلبال	*Salsola tetragona Delilie.*
الريسول	*Italocnemum strobilaceum (pall)M .Bieb.*
الثليث	*Halocnemum strobilaceum (pall) M. Bieb.*
الرمث	*Hammada scopria (pomal).(haloxylon articulatum)*
القطف المحلي	*Atriplex halimus L.*
الزهيرة	*Phlomis phlocosa L*
الثرثوت	*Cistanche phalypea L.*
–	*Arthocoemum perenne (Nill) Moss.*
العنصل	*Asphodelus microcarpus*
بصل فرعون	*Urgenia maritima*

جدول رقم (9): الأنواع النباتية المنتشرة على الترب المالحة في منطقة بيئة سبخة دريانه.

واعتماداً على كثافة النوع وطبيعة نموه أمكن تمييز المجتمعات النباتية التالية في كلا المجموعتين:

أ – مجموعة نباتات الترب الرملية (الكثبان الرملية):

1- مجتمع الرتم والديس *Retama reatam – Juncus maritimus*

2- مجتمع الجداري والرمرام *Rhus tripartita – Chenopodium cicutarium*

ب- مجموعة نباتات الترب المالحة:

1- مجتمع الزيتا (الزيانه أوتفاح البحر) *Limonistrum monopetalum*

2-مجتمع الطرفاء والزيتا *Tamarix spp- Limonistrum monopetalum*

3-مجتمع الزيتا والسويده *Limonistrum monopetalum – Suaeda spp.*

4-مجتمع القطف المحلي والبلبال *Atriplex halimus- Salsola tetragona*

حيث أمكن تمييز الترتيب السابق للمجتمعات النباتية بارتباطها مع ملوحة التربة, وذلك في منطقة تمتد بعرض 300 م ما بين طرف السبخة وبئر بو جرار، حيث تم ربطها مع نتائج تحاليل عينات التربة التي تمت في منطقة السبخة، والجدول رقم (10) والشكل رقم (17) يوضحان ذلك.

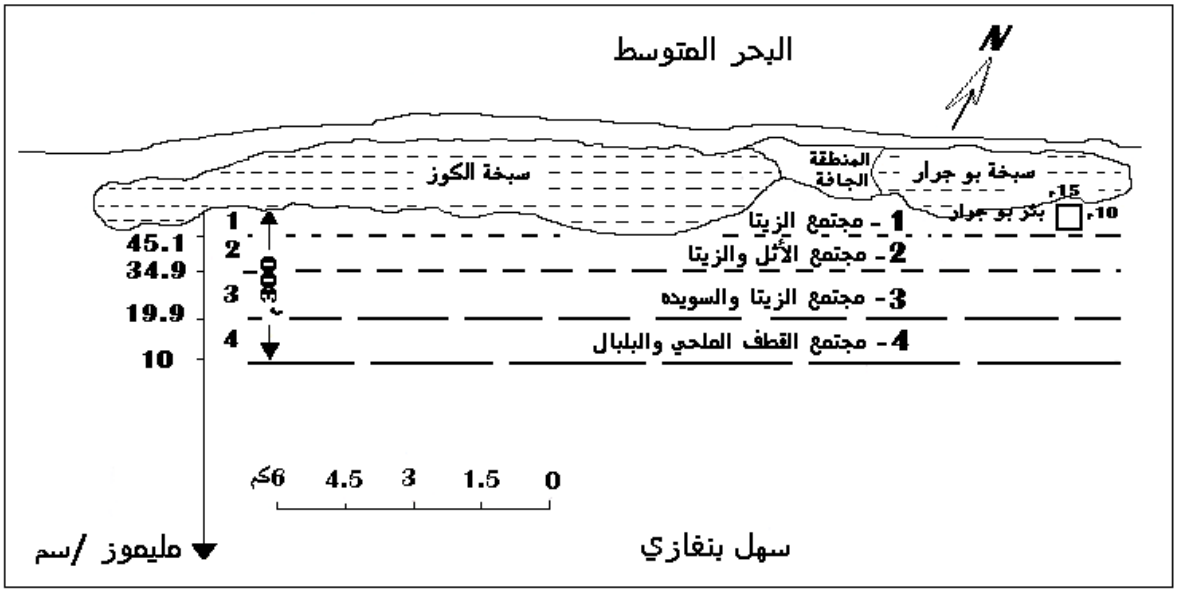

شكل رقم (17): تتالي ظهور المجتمعات النباتية حسب ملوحة التربة (Ec) ابتداءً من أطراف السبخة الجنوبيه وباتجاه الطريق العام (المرج – بنغازي) خلال مسافة 300 م, هذه المسافة على الشكل مكبرة بمقدار 10 مرات عن مقياس الرسم.

الاسم المحلي للنوع النباتي	قوام التربة	قيمة Ec مليموز/سم	قيمة pH	ملاحظات
الديس	رملي	1.6-0.5	8 – 8.8	عنصر رئيسي
الجداري	رملي	1.6-0.5	8 – 8.8	عنصر رئيسي
الرتم	رملي	1.6-0.5	8 – 8.8	عنصر رئيسي
العوسج	رملي	1.6-0.5	8 – 8.8	عنصر مرافق
المرار	رملي	1.6-0.5	8 – 8.8	عنصر مرافق
بو كروبة	رملي	1.6-0.5	8 – 8.8	عنصر مرافق
البختري	رملي	1.6-0.5	8 – 8.8	عنصر مرافق
الرمرام	رملي	1.6-0.5	8 – 8.8	عنصر رئيسي
الحلبلوب	رملي	1.6-0.5	8 – 8.8	عنصر مرافق
الزيتا (تفاح البحر)	طيني طمي – طيني	45.1-19.9	7.7- 7.9	عنصر رئيسي
الأثل	طيني طمي – طيني	34.7-19.9	7.7- 7.8	عنصر رئيسي
السويده	طيني طمي – طيني	34.7-19.9	7.7- 7.8	عنصر رئيسي
السويده المصريه	طيني طمي – طيني	34.7-19.9	7.7- 7.8	عنصر مرافق
البلبال	طيني طمي– طيني	34.7-19.9	7.7- 7.8	عنصر رئيسي
الريسول	طيني طمي – طيني	34.7-19.9	7.7- 7.8	عنصر مرافق
الزهيرة	طيني طمي – طيني	أقل من 19.9	7.7- 7.8	عنصر مرافق
الثرثوت	طيني طمي – طيني	أقل من 19.9	7.7- 7.8	عنصر مرافق
العنصل	طيني طمي – طيني	أقل من 19.9	7.7- 7.8	عنصر مرافق

الجدول رقم (10): علاقة الأنواع النباتية بقوام التربة وقيمة Ec وpH ومكانتها ضمن المجتمع النباتي في منطقة بيئة سبخة دريانه.

اعتمادا على ما سبق يتضح لنا القيمة البيئية للأنواع النباتية المنتشرة بشكل طبيعي في منطقة السبخة, من حيث إمكانية استخدامها في التثبيت الحيوي للكثبان الرملية, والاستصلاح البيولوجي للترب المالحة, وما لذلك من دور مهم في الحد من التصحر, و وقف زحف الرمال, وتدهور التربة, والمحافظة على البيئة, وحماية الحياة البرية. إن دور هذه النباتات لا يقتصر على الدور البيئي فقط, وإنما لها قيمة اقتصادية؛ إذ يمكن أن تؤمن الأعلاف في أوقات الحاجة, وكذلك حطب الوقيد, ويمكن أيضاَ الحصول

على مواد تستخدم في بعض الصناعات الريفية, مما يجعلها تساهم أيضاَ في تأمين دخل إضافي للسكان المحليين, وقد يؤدي ذلك بشكل غير مباشر إلى استقرار السكان في المنطقة, والجدول رقم (11) يوضح القيمة الاقتصادية والبيئية لبعض الأنواع النباتية المنتشرة طبيعياَ في منطقة السبخة دريانه.

الاسم المحلي للنوع النباتي	الأهمية الاقتصادية والبيئية والاستعمالات
القطف الملحي	مرعى للأغنام والإبل وهو ذو قيمة علفية جيدة ويستخدم في تشجير المناطق المالحة والجافة بهدف مكافحة التصحر و الاستصلاح البيولوجي للترب المالحة.
الجداري	ترعاه الماعز والإبل ويستخدم كمصدر للثمار التي تستعمل كبهارات لحموضتها وكذلك يستخدم الخشب كخشب وقيد وهو يعتبر من الأنواع التي يمكن أن تساهم في تثبيت الكثبان الرملية وتشجير المناطق الساحلية.
الرتم	مرعى جيد للأغنام والماعز والإبل نظراَ لقيمته العلفيه و يستخدم في تثبيت الكثبان الرملية الساحلية وتشجير المناطق الجافة.
الديس	يستخدم في تثبيت الكثبان الرملية في المناطق الساحلية ويستخدم محلياَ لصناعة الحصائر.
العوسج	مرعى جيد للإبل ويستخدم خشبة كوقيد كما يستخدم لتثبيت الكثبان الرملية وتشجير المناطق الجافة.
الزيتا (تفاح البحر)	يرعى من قبل الإبل و يستخدم خشبة كوقيد.
الأثل (الطرفاء)	مرعى للإبل و يستخدم خشبة كوقيد كما يستخدم في تثبيت الكثبان الرملية الشاطئية وتشجير الترب المالحة وهو نبات للزينة.
البختري	قيمته العلفية ممتازة وهو مرغوب من قبل الأغنام.
الرمرام	له قيمة علفية جيدة إلى ممتازة و يستخدم في تثبيت الرمال الشاطئية وتشجير المناطق الجافة.
الزهيرة	مرعى لنحل العسل ونبات زينه.

جدول رقم (11): الأهمية الاقتصادية والبيئية والاستعمالات لبعض الأنواع النباتية المنتشرة طبيعياَ في منطقة بيئة سبخة دريانه.

4 – 9- الحياة الحيوانية:

يمكن اعتبار السبخات (الشاطئية، القارية) نظم بيئية خاصة باعتبار أنها تتميز بغطاء نباتي ينتشر على أطرافها ويختلف عن نباتات المناطق المجاورة, صور (5 و 6 و 7 و 8), مما جعلها أنظمه بيئيه خاصة على الشواطئ الليبيه, إذ تعتبر السبخات المنتشرة في المنطقة الساحلية في ليبيا وما يحيط بها من نباتات مكانا مناسبا لاستضافة عدد كبير من الطيور المائية المهاجرة التي تقضي الشتاء في المنطقة الساحلية المتميزة بالدفء مقارنة بالمناطق الداخلية الليبية، من هذه الطيور عدد من أنواع الوزيات واللقلقيات والنورسيات (توسكي 1981، العوامي 1997،.all. at Hermann 1979).

بينت نتائج الاستبيان, وكذلك المشاهدات الحلقية في أوقات مختلفة من السنة, والمراجع المتعلقة بموضوع الدراسة انتشار العديد من أنواع الطيور والحيوانات في بيئة السبخة المدروسة, حيث يوضح الجدول رقم (12) أهمها.

الاسم المحلي للحيوان أو الطير	الاسم العلمي
الحيوانات	
الأرنب الليبي	*Lepus capensis*
ثعلب احمر	*Vulpes vulpes*
سلحفاة	*Testudo spp.*
شيهم- (صيد الليل)	*Hystrix cristata*
قنفذ	*Paraechinus aethiopicus*
الطيور	
الحجوالة	*Philomachus pugnax*
حسون ذهبي	*Carduelis cardeulis*
بط خضاري	*Anas spp.*
دجاجة الماء	*Gallinula chloropus*
طيطوي	*Tringa spp.*
نورس	*Laurus spp.*
كروان الماء	*Numenius arquata*

جدول (12): أهم الحيوانات والطيور البرية التي سجلت في منطقة سبخة دريانه.

فيما تقدم من هذه النتائج يتبين لنا أهمية المنطقة بالنسبة لأنواع الطيور المائية المهاجرة من شمال البحر المتوسط نحو جنوبه, إذ أن قرب المسافة البحرية (مسافة الطيران فوق الماء بين الشواطئ الأوربية والشواطئ الليبية), جعل مناطق البيئات السبخية مناسبة للتوقف أثناء الهجرة, وهذا ما تشير إليه وتؤكده المراجع (توسكي 1981 ، العوامي 1997).

5 – المقترحات والتوصيات:

استنادا إلى النتائج التي قدمتها هذه الدراسة نقترح ونوصي بما يلي :

- نوصي بعدم إقامة مشاريع هندسية إضافية على الأودية المتواجدة في حوض السبخة من اجل استمرار تغذية السبخة بالمواد الناعمة الآتية من القارة وذلك حفاظا على بيئتها.
- نظرا للقيمة البيئية والاقتصادية للعديد من الأنواع النباتية المنتشرة في منطقة السبخة نقترح اختيارها ضمن برامج التشجير للكثبان الرملية الشاطئية والترب المالحة لما لها من خصائص ومميزات.
- نظرا لأهمية الحصول على وحدات تكاثرية (بذور) لا جل مشاريع التشجير الوقائي نقترح الاهتمام بمنطقة السبخة كمصدر لبعض أنواع البذور على سبيل المثال الرتم.
- نظرا لاعتبار منطقة السبخة مهمة للطيور المهاجرة وكذلك للحياة البرية نوصي بالاهتمام بهذه المنطقة ومنع التعديات عليها.
- نقترح وضع برنامج لإجراء دراسات لبيئات السبخات الشاطئية في المناطق الأخرى من الساحل الليبي لما لهذه الدراسات من قيمة بيئية واقتصادية وعلمية.

6– المراجع العربية والأجنبية:

6 – 1 – المراجع العربية:

– العوامي عياد (1997): الحيوانات البرية الليبية, منشورات جامعة عمر المختار, البيضاء، 174صفحة.

– الهادي مصطفى أبو لقمة وسعد خليل القزيري (1997): الساحل الليبي, منشورات مركز البحوث والمنشورات, جامعة قاريونس, بنغازي.

– توسكي اوجستو (1981): الطيور الليبية, ترجمة عياد موسى العوامي, الدار العربية للكتاب, طرابلس.

– حنا إبراهيم وعامر مجيد آغا (1997): الحياة البرية, مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية, كلية الزراعة الثانية, جامعة حلب,241 صفحة.

– مصلحة المساحة (1975): لوحة سهل بنغازي, خريطة طبوغرافية 250000:1 ، طرابلس.

6 – 2 – االمراجع الأجنبية:

-Al Hanafi .M .G.(1995): Le Bassin versant du Barada (Syrie), these de doctorat, Nancy, France.

- Hermenn H. R., Fitter and J. Parslow (1979) :the Birds of Britain and Europe with N. Africa and the Middle East Collins , London.

-Selkhozprom Export 1980: Soil studies in the western zone, the eastern zone and the pature zone of the S.P.L.A.J Secretariate of the Reclamation and the Land Development,Tripoli.

-Soil survey staff (1951) :Soil Survey Manual, U.S. Dept. Agric. Handbook No.18.

ملحق الصور

صوره (1): الضفاف الشمالية من جهة البحر لسبخة بو جرار تظهر الكثبان الرملية وغطاؤها النباتي, مع وجود ممر مائي لمياه البحر نحو السبخة يفصل بين الرمال, لاحظ تزهر الأملاح (اللون الأبيض) في الجهة الشمالية من السبخة . تاريخ الصورة 11.09.1999.

صوره (2): الجزء الجنوبي من سبخة بو جرار يظهر فيها الغطاء النباتي على الضفاف الجنوبية للسبخة, ثم امتداد سهل بنغازي الساحلي أسفل الحافة الأولى الغربية للجبل الأخضر التي تظهر في المستوى البعيد, تاريخ الصورة 11.09.1999.

صوره (3): سبخة بو جرار, أرضية السبخة تتكون من السلت والطين, في المستوى التالي تظهر طبقة ملحية ناتجة عن تبخر مياه السبخة, وفي المستوي الشمالي الأبعد تبدو بيئة الكثبان الرملية الشاطئية, تاريخ الصورة السبت 11.09.1999.

صورة (4): تزهر الأملاح في سبخة بو جرار, تاريخ الصورة 11.09.1999.

صوره (5): الجهة الجنوبية لسبخة بو جرار تبدو فيها أشجار الأثل التي تتدهور حالتها نتيجة غمر جذورها بالمياه لفترة طويلة مما يؤدي لخنقها ثم لموتها, تاريخ الصورة السبت 11.09.1999.

صوره (6): الجهة الشمالية من سبخة بو جرار تظهر أهمية البيئة الرملية التي تفصل السبخة عن البحر, تاريخ الصورة السبت 11.09.1999.

صوره (7): الضفة الجنوبية لسبخة بو جرار, لاحظ كيفية غزو النباتات لأرضية السبخة من جهة السهل وتدرجها وفق ثلاث طوابق , إذ تتقدم النباتات الصغيرة تتبعها النباتات الأكبر فالأكبر على هيئة تعاقب إيكولوجي واضح, تاريخ الصورة 11.09.1999.

صوره (8): الغطاء النباتي على ضفاف سبخة بو جرار الجنوبية أي من جهة السهل, لاحظ مدى ازدهار الأشجار وكثافتها, تاريخ الصورة السبت 11.09.1999.

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 15 (1): 108-123، 2011

Research Article

Open Access

السلطان عبدالحميد الثاني و دوره في مواجهة الصهيونية

سليم رجب محمد[1]*

قسم التاريخ، كلية الاداب، جامعة عمرالمختار

Doi: https://doi.org/10.54172/njvf3y05

المستخلص : السلطان عبد الحميد الثاني، شخصية تثير اهتمامًا دائمًا، تظل محل دراسات ومناقشات علمية واسعة حتى بعد وفاته في عام 1918. تستكشف هذه الدراسة أهميته في قضية الصهيونية، معتمدةً على مصادر تركية مهمة، بما في ذلك مذكراته. رفض السلطان عبد الحميد الثاني السماح باستيطان اليهود في فلسطين، وحفظه لهوية القدس، وثباته أمام الحوافز المالية، كل ذلك يدل على التزامه بالدفاع عن مصالح المسلمين. تسلط هذه الدراسة الضوء على تعقيدات حركة الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر وتداعياتها، مما يساهم في فهم أعمق لهذه الفترة التاريخية.

الكلمات المفتاحية: السلطان عبد الحميد الثاني، الاستيطان اليهودي، القرن التاسع عشر.

Sultan Abdul Hamid II and His Role in Confronting Zionism

Saleem Rajab Mohammed

History Department, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: Sultan Abdul Hamid II, a figure of enduring interest, remains the subject of extensive scholarly studies and discussions even after his death in 1918. This research explores his significance in the Zionist issue, drawing on important Turkish sources, including his memoirs. Sultan Abdul Hamid II's refusal to allow Jewish settlement in Palestine, his preservation of Jerusalem's identity, and his steadfastness in the face of financial incentives demonstrated his commitment to defending Muslim interests. This study sheds light on the complexities of the late 19th-century Zionist movement and its implications, contributing to a deeper understanding of this historical period.

Keywords: Sultan Abdul Hamid II, Jewish settlement, 19th century.

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

التمهيد

يعتبر موضوع شخصية السلطان عبدالحميد، موضوعاً متجدداً دائماً يفرض نفسه، ويكفي لإثبات هذا أنه مات عام 1918م، ومازالت الدراسات والمناقشات حوله قوية كثيرة ومكثفة ومستمرة في البلاد الإسلامية وفي العالم العربي وفي تركيا وفي البلاد الأوروبية أيضاً، والدراسات عنه تظهر وتنتشر يوماً بعد يوم وتضيف الجديد إلى التاريخ، تغُير تفكيراً مضى وتضيف تفكيراً جديداً .

وتأتي أهمية هذه الدراسة تحديداً عن السلطان عبدالحميد الثاني في كونها تعتمد على العديد من المصادر التركية المهمة من بينها مذكرات السلطان عبدالحميد والتي تكشف عن معلومات هامة في تاريخ الصراع بين الصهيونية والعالم الإسلامي عامة والعالم العربي خاصة وخطورة فلسطين في الوجدان السياسي الإسلامي .

وقد تم تقسيم هذا البحث إلى عدة عناصر حيث ستقرأ تعريفاً بالسلطان عبدالحميد الثاني ثم المسألة الصهيونية في الدولة العثمانية وموقف السلطان عبدالحميد من الهجرات اليهودية وإجراءاته للحيلولة دون الإستيطان اليهودي في الأراضي المقدسة كما ستقرأ المباحثات التي قامت بين السلطان عبدالحميد والصهيونية وكيف تعامل السلطان مع المسألة الصهيونية التي أخذت تبرز خلال القرن التاسع عشر، كأحد التيارات القومية التوسعية ودوره في الحفاظ على هوية القدس والتي انتهت أخيراً بعزله ونفيه إلى سلونيك وهي مدينة يغلب عليها الطابع اليهودي حينما رفض السلطان إقامة مأوى لليهود في فلسطين ورفض إغراءات مالية هائلة قدمها هرتزل الذي طالما أكد على أن تظل القدس تابعة للدولة اليهودية وكيف كثف هرتزل نشاطه في ألمانيا وفي بريطانية حين بعث بنسخة من كتابة الدولة اليهودية إلى المستشار الألماني بسمارك مع رسالة استعطاف حول تأسيس دولة يهودية في فلسطين.

أولاً : السلطان عبدالحميد الثاني :

السلطان العثماني عبدالحميد الثاني 1876- 1909م تولى الحكم بعد خلع السلطان مراد الخامس وبقى فيه 33 سنة متواصلة، وأختلف الباحثون في تقييم شخصيته وعهده الذي يعتبر من أكثر عهود التاريخ العثماني اضطراباً في النواحي الاقتصادية والسياسية والاجتماعية .

والده السلطان عبدالحميد أول سلطان في آل عثمان يُضفى على حركة تغريب الدولة العثمانية صفة الرسمية، إذا أنه أمر بتبني الدولة لهذه الحركة وآمر بإصدار فرمان التنظيمات عام 1854م وبهما بدأ في الدولة العثمانية ما سمي بعهد التنظيمات وهو إصطلاح يعني بتنظيم شؤون الدولة وفق المنهج الغربي، بهذا الفرمان ثم استبعاد العمل بالشريعة الإسلامية وبدأت الدولة تستلهم الروح الغربية في الحياة وتستلهم الفكر الغربي في التقنية وإقامة المؤسسات [1].

تولى الحكم وعمره 34 عاماً حيث ولد في سنة 1876م وكان ذكياً واصبح داهيه وكان معتدل السلوك في شبابه وغير مندفع وراء الملذات وكان ضعيف البنية وربما ورث ذلك من أمه وكانت تجذبه النساء الذكيات أكثر من الجميلات وكان يعيش في قصره في تارابيا المطلة على البسفور، وكانت حياته بسيطة خلافاً للبشوات الأغنياء وكانت حاشيتة صغيرة قبل تولي السلطنة حيث تتألف من ضابط مرافق وسكرتير وطبيب هو صديقه ماثروا ياني الذي كان يمده كما كان يفعل صديقه الإنجليزي طومسون أحد كبار التجار في بيرا وكان متمسكاً بالدين ويجنح إلى الصوفية ويقوم بالفروض الدينية كأي مسلم ورع وكان يصلي أمام الأضرحة خاصة أمام ضريح جده السلطان محمود الثاني الذي ورث عنه الرقة والذكاء والمهارة السياسية .

شاهد عبدالحميد والده ومن بعده عمه السلطان عبدالعزيز يحميان حركة الأخذ عن الغرب، كما شهد أيضاً ولمس عن قرب أطماع الدول الغربية وروسيا في الدولة العثمانية ورأى أنه تدخل مرسوم ومخطط له وفيه دمار الدولة العثمانية، وكان عليه كمسؤول عن دولته مواجهة هذه الأطماع وإيجاد حل لمشكلتها، فأعتمد على سياسة الإيقاع بين القوى العالمية آن ذاك بحيث تدخل في حربِ فيما بينها ورأى السلطان عبدالحميد أن هذه الحرب من شأنها تصفية قوى هذه الدول وإحداث معادلة في توازن القوى العالمية وفي أثناء كل ذلك يعمل على تجميع القوى الإسلامية المبعثرة في العالم في مواجهة الأطماع الغربية والصهيونية[2].

ثانياً – المسألة الصهيونية في الدولة العثمانية :

من المعروف أن الصهيونية برزت في القرن التاسع عشر كأحد التيارات القومية والتوسعية، غير أن الأيديولوجية اليهودية حتى هذا الوقت لم تتجاوز المجالات الدينية والثقافية وبدءاً من هذا التاريخ تم تنظيمها سياسياً وتحولت إلى تنظيم قومي عنيف .

ويعد ثيودور هرتزل المهندس الحقيقي للصهيونية العالمية، إذ نضجت الأيديولوجية اليهودية تحت زعامته وتحولت إلى قضية عالمية، وأصبح الهدف الأساسي للصهيونية : إقامة دولة يهودية مستقلة . ولكن أثير الجدل بأفريقيا أو الأرجنتين في أمريكا الجنوبية أو مقدونيا في البلقان أو بلاد ما وراء النهرين. وأخيراً تقرر أن تقم في الأرض الموعودة أي في فلسطين التي كانت جزء من أراضي الدولة العثمانية . ولكي تتمكن الحركة الصهيونية من تحقيق هذا الهدف سعت إلى إقناع السلطات العثمانية باستيطان اليهود في أراضي فلسطين ومناشدة الدول العظمى لممارسة الضغط على الدولة العثمانية .

في سنة 1897م عقد المؤتمر الأول للصهيونية في مدينة بازل السويسرية حيث تم اختيار هرتزل رئيساً للمجلس التنفيذي الذي تم تشكيلة في المؤتمر نفسه. وغدا هرتزل يتحرك وكأنه رئيس دولة مشكَّلة

في النفي. ويبدو من مجريات الأحداث أن التحركات الصهيونية وضعت في مفترق الطريق: إما يتفاعلون مع المجتمعات التي يعيشون فيها أو يواصلون حياتهم كطائفة منعزلة أو يسعون إلى إقامة دولة مستقلة في فلسطين والهجرة إليها إن تطلب الأمر، أما النتيجة التي تمخض عنها هذا الأمر أن الصهيونية لم تقبل من قبل كل اليهود، بل إنها رفضت من قبل بعض الأوساط اليهودية. غير أن الموقف الأخير تم تبنيه من قبل اليهود العثمانيين. ولكي يبلغ الصهيونية غايتهم قاموا بإقامة منظمات مختلفة في داخل الدولة العثمانية وخارجها[3].وذلك من أجل تنظيم شؤونهم الداخلية وتكوين كيان منظم لهم ولتحقيق أهدافهم .

أما ما يتعلق باليهود فالمعروف أنهم كانوا ينتشرون على شكل أقليات في أماكن مختلفة من الدولة العثمانية، غير أنهم لم يشكلوا نسبة ملفته للنظر في فلسطين، ومع هذا فقد أقرت الإدارة العثمانية بالوجود اليهودي في فلسطين وغضت الطرف عن هجرتهم إليها بين حين وأخر . وطبقاً للروايات التاريخية فإن كان هناك ومنذ القدم جماعة يهودية تعرف بـ(Yishuv يشوف) وكانت هذه الجماعة اليهودية تتمتع بالجنسية العثمانية وتتكون من اليهود السفراديم الذين تفاعلوا مع السكان المحليين بشكل كبير واليهود الاشكنازيم الذين وفدوا مع بعض الهجرات واستقروا بالدرجة الأولى في المدن الأربعة التي يعتبرها اليهود مقدسة. وكان قسم من اليهود يمارسون التجارة، أما الأكثرية منهم فكانوا يعتمدون في تأمين أمورهم المعاشية على الهبات اليهودية العالمية التقليدية .

أما تعامل الحكومة العثمانية مع اليهود فنعرف أن العثمانيين حذوا حذو الدول الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين من أهل الكتاب النصارى واليهود. إذ اتبعوا معهم سياسة التسامح. ويستشف من المصادر العثمانية أن الإدارة العثمانية في فلسطين تركت للطوائف غير الإسلامية بما فيهم اليهود حرية ممارسة شعائرهم الدينية ولم تتدخل مطلقاً فيها. وفي ظل هذه السياسة برزت التنظيمات الخاصة بالطوائف الدينية في فلسطين. إذ نالت هذه الطوائف امتيازات كثيرة من حيث إقامة الكنائس والمدارس الدينية والجمعيات التبشيرية وقد أدت هذه التطورات إلى منازعات حادة من أجل المصالح بغية التحكم بالأماكن المقدسة والأراضي الفلسطينية .

ولم يكن اليهود في فلسطين في بداية العهد العثماني يشكلون نسبة تذكر بالنسبة إلى عدد السكان. إذ كان العرب المسلمون وعلى مر التاريخ العثماني يشكلون أغلبية مطلقة في فلسطين. ففي سنة 1880م كان العرب لم يسجلوا في قيود السكان أي لم يدخلوا في هذه النسبة[4].

والحقيقة إن عدد اليهود في فلسطين عامة وفي القدس بشكل خاص كان قليلاً جداً في بداية الأمر . فقد ذكر القنصل الإنجليزي في فلسطين بليج Blech في تقرير له في 16 تشرين الثاني سنة 1907م أنه لم يكن يوجد في القدس قبل مائة عام إلا أقل من خمسمائة يهودي . وبلغ عددهم في سنة

1907/1906م 6068 من أصل مجموع السكان البالغ 78,498 . وقفز هذا العدد إلى 18,190 من أصل 120,921 كانوا يشكلون مجموع السكان في سنة 1914م[5].

وينبغي ألا نلقي اللوم على السلطات العثمانية ونحملها مسؤولية هذه الزيادة المطردة في عدد اليهود في القدس وفلسطين بمرور الزمن، فالحكومة العثمانية رفضت من حيث المبدأ تغيير الوضع الإثني لفلسطين واتخذت إجراءات صارمة تجاه هجرة اليهود إلى فلسطين، وحظرت استيطانهم تحت أية ذريعة. غير أن اليهود كانوا يستغلون الثغرات الموجودة في قوانين وأنظمة الدولة، كما كانوا في الوقت نفسه يسعون إلى حصول الحماية الدولية لتسهيل استيطانهم في فلسطين.

ومما يجدر ذكره أن الزيادة التي تحققت في عدد اليهود في فلسطين كانت بلا شك بسبب الهجرات التي استهدفت الأراضي الفلسطينية المختلفة، ولكي نتعرف على أبعاد هذه الهجرات ينبغي التوقف عندها قليلاً .

رابعاً – موقف السلطان عبدالحميد من الهجرات اليهودية :

من المعروف أن معاداة اليهود ازدادت في الدولة الأوروبية نتيجة للحركات القومية التي اجتاحت أوروبا، وتعرض اليهود في روسيا إلى الاضطهاد (1881–1882م)، اضطروا على أثرها إلى الفرار من ديارهم واللجوء إلى أراضي الدولة العثمانية لم تمنع في بداية الأمر استقرارهم في فلسطين، لكنها شعرت بعد سنوات عديدة بعدم الارتياح من هذا الأمر، فأصدرت لأول مرة في سنة 1887م أوامر تحظر الاستيطان اليهودي في فلسطين وعلى وجه الخصوص في القدس[6].

وعلى أية حالة فهناك العديد من الأوامر السلطانية تحظر هذا الاستيطان وعلى وجه الخصوص من قبل اليهود الروس، لأن السلطان العثماني كان يخشى أن يؤدي هذا الأمر إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين في المستقبل، ففي أمر يعود تاريخه إلى 21 ذي القعدة سنة 1038 (28 – 6 – 1891م)، ورد على لسان السلطان عبدالحميد الذي قال إن قبول المطرودين من كل حدب وصوب في البلاد السلطانية غير جائز، لأن ذلك قد يؤدي إلى تشكيل حكومة يهودية في القدس في المستقبل. والبلاد السلطانية ليست أراضي غير مأهولة، لذا ينبغي سوقهم إلى المستقبل. والبلاد السلطانية ليست أراضي غير مأهولة، لذا ينبغي سوقهم إلى أميركا، وينبغي إعادتهم إلى سفنهم وإرسالهم إلى أميركا، وعلى مجلس الوزراء اتخاذ قرار قطعي بهذا الخصوص وعرضه على، وإذا كانت أوربا المتمدنة تمتنع عن قبولهم وتجلوهم عن بلدانها، فلم نقبلهم نحن.

ويستدل من هذا إن السلطان عبدالحميد الثاني كان يخشى من قيام دولة يهودية في فلسطين، وكانت خشيته في محلها .. ولم يمر أسبوع على صدور هذا الأمر، أصدر السلطان أمراً ثانياً في 28

ذي القعدة 1308هـ/ (5-7 – 1891م) كرر فيه الخطر الذي يكمن وراء استيطان اليهود وذكر إن قبول هؤلاء اليهود مواطنين والسماح باستيطانهم هما في غاية الخطورة. لذا ينبغي عدم قبولهم، لأن ذلك قد يؤدي إلى بروز مسألة تأسيس دولة يهودية في المستقبل. لذا ينبغي عرض الموضوع إلى مجلس الوزراء اليوم بأسرع ما يمكن.

وبعد يوم واحد من صدور هذا الأمر، صدر الأمر الثالث أي في 29 ذي القعدة 1308 هـ/(6 – 7 – 1891م) وجاء فيه :

((إن الدولة المتمدنة (يقصد بها روسيا القيصرية) التي طردت هؤلاء اليهود من أراضيها والدول الأخرى التي لم تقبل بهم، لم تلق أي اعتراض ولم تتعرض إلى الانتقاد. فبأي حق تبدي هذه الدولة اعتراضاتها وتتخذ من عدم قبولنا اليهود حجة علينا. وإذا كان هناك ثمة حق للاعتراض فليوجه نحو الدول المعينة. وعليه فأينما سكن اليهود أو اتخذت التدابير اللازمة بشأنهم، فإنهم وكما يبدوا سيغزون فلسطين عازمين في نهاية المطاف وبتشجيع الأوروبيين ورعايتهم على تشكيل دولة يهودية فيها. وإن هؤلاء اليهود لا يمارسون العمل في الزراعة والفلاحة بل ينوون العمل على إلحاق الأضرار بالأهالي كما فعلوا في البلدان التي طردوا منها. ونظراً إلى أنهم كانوا يزعمون الهجرة إلى أمريكا فمن المناسب أن يواصلوا هجرتهم إليها ..))[7].

ويبدو من هذا الأمر الأخير أن السلطان عبدالحميد وضع النقاط على الحروف بشأن الكثير من المسائل المهمة. إذ أن الدولة العثمانية تعرضت إلى ضغط الدولة الغربية بشأن قبول هؤلاء اليهود في الوقت الذي سدت أبوابها بوجه هؤلاء. وطالما أن هذه الدول عازمة على استيطان اليهود في فلسطين فإنها ستمهد السبيل لهم من أجل ذلك. كما يبدوا أنه أشيع بأن هؤلاء اليهود يمارسون الزراعة والفلاحة أي أنهم في حالة استيطانهم فلسطين سيكونون عناصر منتجة للدولة العثمانية، غير أن السلطان رد على هذا وكشف عن النوايا الشريرة لهم وهي إلحاق الأضرار بالأهالي أي اغتصاب أراضيهم وطردهم منها، وهو ما تحقق بمباركة الاستعمار البريطاني .

ويستشف من صدور هذه الأوامر الثلاثة على التوالي في غضون فترة قصيرة مدى اهتمام السلطان الجدي في هذا الصدد وحرصه على حماية فلسطين من أي غزو أجنبي عليها .

والحقيقة أن الدول الأوربية على الرغم من الكره الذي كانت تكنه لليهود استغلت مسألتهم للضغط على الباب العالي لإسكانهم في منطقة إستراتيجية، وعند تحقيق هذا الأمر فإن هذه الدول ولاسيما بريطانيا ستوفر لها بذلك منفذاً إلى العراق ثم الخليج العربي الذي يشكل بداية الطريق البحري المؤدي إلى الهند مستعمرة بريطانيا . وهذه الدول وعلى وجه الخصوص روسيا وبريطانيا اللتان استولتا على أماكن

مختلفة من آسيا تضم الكثير من المسلمين. كانتا تخشيان كثيراً من سلاح الخلافة.كما يسميه عبدالحميد.[8] والذي ما زالت قبضته بيد السلطان عبدالحميد بحكم كونه خليفة يمثل المسلمين في المعمورة .

خامساً – إجراءات السلطان عبدالحميد للحيلولة دون الاستيطان اليهودي في الأراضي المقدسة :

عندما أدرك السلطان عبدالحميد نوايا الدول الغربية واليهود وإصرارهم المتواصل على مسألة الاستيطان ولكي يقطع الطريق أمامهم ويحول دون تحقيق أهدافهم، اتخذ جملة من الإجراءات، فأصدر أوامره عام 1887م بجعل القدس سنجقاً مستقلاً عن ولاية الشام وربطه بالباب العالي ليكون تحت إشراف الحكومة المركزية في إستانبول[9] .

وأصدرت الحكومة العثمانية أوامرها بتحديد مدة اليهود الأجانب في فلسطين إذ منعت بقائهم أكثر من شهر وقامت بإبلاغ هذا القرار إلى متصرف القدس والقنصليات الأجنبية الموجودة في المنطقة .

والحقيقة أن تطلعات اليهود الذين يحملون الجنسية العثمانية إلى الاستيطان في فلسطين بما فيها القدس قد أثارت مشاكل جديدة للحكومة العثمانية التي كانت تسعى إلى عدم تغيير التركيبة السكانية للمنطقة. ولهذا أصدرت في 14 جمادي سنة 1318هـ/(9 – 10 – 1900م) تعليمات نظمت بموجبها زيارة اليهود إلى الأماكن المقدسة في فلسطين اشترطت فيها على اليهود الذين يحملون الجنسية العثمانية أو الأجنبية الراغبين بالسفر إلى فلسطين أن يحصلوا على تذكرة سفر يذكر فيها جنسيتهم ومهنتهم وسبب زيارتهم في المادة الأولى، وأن يقوموا بتسليم هذه الوثائق عند وصولهم إلى المرافئ في بيروت أو القدس إلى موظفي الجوازات، ويحصلون منهم، لقاء رسم قرش واحد على تذكرة سفر مؤقتة ملونه تختلف عن التذاكر الأخرى ويُدون فيها إذن الزيارة والإقامة في فلسطين لمدة ثلاثة أشهر. والذين يتجاوزون هذه المدة من اليهود مواطني الدولة فيتم إخراجهم من أراضي فلسطين من قبل قوات الدرك. أما اليهود الأجانب فيتم إخراجهم بواسطة قنصليات حكوماتهم في المادة الثانية. وفرضت المادة الثالثة من هذه التعليمات على موظفي الجوازات تنظيم جدول شهري بأسماء الزوار اليهود وإبلاغ موظفي الجندرمة عن الحالات المتجاوزة وإلا سيتحملون المسؤولية من جراء ذلك[10].

وعلى الرغم من كل الإجراءات التي اتخذتها حكومة السلطان عبدالحميد للحيلولة دون استيطان اليهود في منطقة فلسطين، إلا أنها فشلت في تحقيق ذلك. وعلى العكس من هذا كان عدد اليهود يزداد يوماً بعد يوم حتى بلغت هذه الزيادة حداً أصبحت تولد ردود فعل عنيفة من قبل الأهالي العرب، كما كان اليهود يدعون بأنهم يعاملون معاملة سيئة. وكان هذا الإدعاء غير حقيقي بلا شك والغرض منه كسب عطف الرأي العام العالمي. إذ نعرف أن سكرتيرة القنصلية الإنكليزية في القدس مسز فين (Mrs .Finn)

كتبت في رسالتها المؤرخة في 7 كانون الثاني سنة 1906م إن اليهود لا يتعرضون إلى الاضطهاد في الدولة العثمانية بل على العكس من ذلك فإنهم على خلاف ما هم في الدول الأخرى، يعيشون ومنذ 400 سنة تحت سقف آمن في هذه البلاد. ما ذكرت بأن جماعات اليهود قدمت شكواها إلى السلطان في سنة 1892م لمواصلة حماية اليهود الذين تم طردهم من اسبانيا سنة 1492م[11].

وينبغي هنا أن نشير إلى واقعة مؤلمة وهي أن اليهود عندما يئسوا من استحصال موافقة السلطان عبدالحميد الثاني على الاستيطان في فلسطين لجئوا إلى طريقة لعلهم يرفضون الأمر الواقع على الدولة العثمانية فقاموا بإقناع بعض الأهالي في القدس بيع أراضيهم بمبالغ مغرية، ولم يكن هؤلاء يعرفون نوايا اليهود عندما عرضوا عليهم هذه المبالغ لأراضيهم. إلا أن مدير طابو القدس العثماني جمال الدين بن خوجا إسحاق الخربوطي لم يكن غافلاً عما يدور في خلد اليهود. فكتب إلى السلطان بأن اليهود قاموا بشراء أرض قيمتها 300 ليرة من العرب بثلاث أو خمسة أضعاف قيمتها الأصلية، واقترح شراءها لحساب الخزينة الخاصة... فتم له ما أراد[12].

سادساً – مباحثات الصهيونية مع السلطان عبدالحميد الثاني :

بعد أن وضعت الصهيونية العالمية مسألة الاستيطان في فلسطين نصب عينيها سعت إلى التعامل مع المسألة في محورين: الأول طرح الموضوع عالمياً، والثاني إقناع السلطات العثمانية بالموافقة على استيطان اليهود .

وفيما يتعلق بالمحور الأول فقد ذكر الكاتب الصهيوني الكسندر بيم في كتابه تيودور هرتزل والصهيونية السياسية إن هرتزل يبذل جهوداً مكثفة وهو يعرض المسألة الصهيونية على الدول الكبرى ويناشد الدول السبع الكبرى في ذلك الوقت مساعدتها بشان منح وطن لليهود. والأراضي التي يطلبها اليهود كانت تابعة للدولة العثمانية[13].

وفي الوقت الذي كانت الصهيونية العالمية تجند طاقتها لتهيئة الرأي العام الدولي والقوى العظمى لممارسة ضغوطها على الدولة العثمانية لم تصرف النظر عن طرق باب عبدالحميد واللجوء إلى المناورات السياسية معه .

ومن الشخصيات اليهودية التي قابلت السلطان عبدالحميد الثاني المستشرق المجري آرمينوس فابري، إذ ذكر إسرائيل كوهين في كتابه الحركة الصهيونية إن اليهودي المجري آرمينوس فابري التقى في 18 أيار 1901م السلطان عبدالحميد وعرض عليه مبلغاً كبيراً من المال لقاء موافقته على السماح لليهود بامتلاك أراضي في فلسطين، إلا أن السلطان عبدالحميد لم يلتفت إليه وطرده من قصره.

وفيما يتعلق بأرمينوس فابري فإنه كان من يهود المجر ومن أكثر الذين كتبوا عن عبدالحميد وشوهوا سمعته. ويبدوا أنه التقى بعبد الحميد عدة مرات ولم يفاتحه في المرة الأولى في مسألة استيطان اليهود في فلسطين، بل حاول استدراجه للموافقة، فكتب مقالة مطولة نشرها في جريدة المقطم تحت عنوان((جلالة السلطان عبدالحميد خان)) ثم أعاد نشرها في مجلة المقتطف ومما جاء فيها :

((لا أبالغ إذ قلت أنه لم يقم في تاريخ المشرق سلطان شرقي امتاز بحب الشغل والهمة التي لا تكل ولا تمل كالسلطان عبدالحميد و وإن اعتداله وحكمه على نفسه وأمياله هما اللذان حفظا أوروبا من الحرب العامة وأما أوصافه الذاتية فقد ألفيت فيه فوق ما سمعت من اللطف والرقة ودماثة الأخلاق وأنه قد خص وأمتاز عن أقرانه من ملوك الشرق بآرائه في الدين والسياسة والتعليم والتربية والتهذيب. أما في الدين فإنه من المتمسكين بعقائد مذهبه المحافظين على شعائر ديانته. ويجري على العلماء النعم والخيرات بلا حساب ولكنه لا ينسى رجال الدين في الطوائف الأخرى من سلطنته بل ينفحهم بالهدايا والعطايا وخصوصاً بطريرك الروم الأرثوذكس وبطريرك الأرمن ومن الغرائب المضحكة أن جماعة من رجال السياسة الأوروبيين يتهمونه بالتعصب في الدين ومعاداة المسيحيين من قومه وغير قومه، والحال أنه اتخذ كبير أطبائه الخصوصيين ورئيسهم من المسيحيين وجعل وزير ماليته غوبيان باشا المسيحي الأرمني وعهد بكثير من مهام سلطنته إلى غير المسلمين من رعيته. ولم ينسَ أرمينوس فابري الرد على منتقدي السلطان في استعمال الصرامة والتشديد في الحكم على الرعية وبث البوليس في كل أنحاء السلطنة وما اتهم به من الاستبداد ثم نظام البوليس الذي أتبعه ... إلخ، حتى بدا كما لو أنه كرس نفسه للدفاع عنه))[14].

غير أن أرمينوس فابري ما لبث أن غير رأيه في السلطان عبدالحميد حينما قال :

((لم أصادف قط كالسلطان عبدالحميد رجلاً لصفات خلقه البارزة مثل هذا التناقض والتطرف والاختلال، فالخير والشر، والسخاء والدناءة، والجبن والشجاعة، والدهاء والجهل، والاعتدال والتطرف وعدد كثير من الصفات المتناقضة تجدها في أعماله وأقواله، وإذا كانت لأخلاقه صفه سائدة فهي جبنه وتقلبه المستمر والخوف من الخطأ في السير، الأمور التي تركت لطخة ثابتة طبعت كافة أعماله. وهذه الصفة السيئة وهي الأثر القتال لتربية الحريم، أدت إلى تجميد أحسن نواياه وإلى تبليد قابلياته الفكرية التي لولا هذا لكانت رائعة والتي جعلت حكمه طالعاً سيئاً لبلاده))[15].

ولا داعي هنا أن نذكر الدوافع التي تكمن وراء هذا التناقض سوى القول إن فامبري رسم هذه الصورة الأخيرة للسلطان عبدالحميد الثاني بعد طرده من القصر أي بعد أن فشل في مسعاه .

وفضلاً عن هذا قام هرتزل بنفسه بإجراء الاتصالات بالسلطان عبدالحميد ومناورته السياسية في هذا الصدد لا يمكن تجاهلها وقد سجل كل ما دار بينه وبين السلطان في مذكراته فضلاً عن تفاصيل مساوماته على الرشاوي التي كان يعرضها على السلطان. وقد دفع ثمن مقابلة واحدة مع السلطان أكثر من 20 الف فرنك [16] .

والمعروف إن هرتزل سعى إلى إقامة العلاقات مع قصر يلدز (قصر السلطان عبدالحميد) فقصد استانبول خمس مرات حتى سنة 1902م وفي إحداها حظي بمقابلة السلطان عبدالحميد وأجرى معه لقاء مطولاً أشار فيه إلى أن اليهود يقيمون في كافة أرجاء البلاد العثمانية، وإذا لم يجد بنو إسرائيل على سطح المعمورة مكاناً يأوون إليه، وإن لجأوا إلى الشهامة التركية، فإن من الممكن أن يسكنوا في العراق وسوريا وحتى في داخل الأناضول. أما استيطانهم في فلسطين فإن هذه المسألة لا يمكن جعلها حتى مجرد موضوع للبحث١.

وعليه اقترح هرتزل منح مليون وستمائة ألف ليرة ذهبية للسلطان إلا أن السلطان أصر على موقفه وطرده من القصر فوراً[17].

ويبدو أن هرتزل تقرب من عبدالحميد وعرض عليه المغريات كلها والتي هي من المفروض أن تجعل عبدالحميد يرقص لها طرباً ومنها :-

1- إنشاء جامعة علمية في القدس تغني الشباب التركي عن الذهاب إلى أوربا للتحصيل العالي، فيكون التحصيل هنا في جامعة القدس عثمانياً لحمته وسداه الولاء للسلطان .
2- الصهيونية تجعل سياستها الخارجية تسير على المخطط الذي يرتضية السلطان بوجه عام .
3- تساعد الصهيونية الخزانة العثمانية على بناء وتجديد أسطولها وتقوية السلاح البحري .
4- تكون الصهيونية في فلسطين درعاً للسلطان، أذا ناوأه يوماً العرب وطلبوا منه ما فيه إزعاج له .
5- تقوم الصهيونية بمساعدة السلطان في قضاياه الدولية مع الدول الكبار[18].

وفي الوقت الذي كان هرتزل يبذل قصاري جهده لإقناع السلطان عبدالحميد، كان يواصل اتصالاته بالدول الأوروبية. وذكر ما يتعلق بهذه الاتصالات في مذكراته. فذكر أنه أرادهم أن يستخدموا الإقناع أو الضغوط لحمل السلطان على قبول منطقة للاستيطان اليهودي، وأن توضع تلك المنطقة بعد ذلك تحت حماية هذه القوى. وبإيجاز لم يكن هرتزل، على الرغم من تأكيده للسلطان من أن المستوطنين اليهود الأوروبيين سيكونون رعايا عثمانيين موالين للإمبراطورية، لم يكن مستعداً كلياً لوضع المستوطنين تحت سلطة إمبراطورية غير أوروبية، كان هذا نفاقاً لأن حماية أوروبية على المنطقة اليهودية كانت مجرد طريق إضافي للتدخل الأوروبي في الشؤون الداخلية للإمبراطورية العثمانية. ويحتمل أن يكون هذا سبب

خوف هرتزل من الاغتيال وسبب اقتراحه ممارسة الحماية البريطانية سراً. فهو لا يشير إلى كيفية عمل هذا الترتيب الغريب وربما كان اقتراحه نتيجة إدمانه الطويل جداً على الدبلوماسية السرية والمساومة والمراوغة.

وأراد هرتزل الحماية الألمانية لأكثر من أسباب سياسية، فقد اعترف بأن كثيرين سيهزون رؤوسهم لها ، أما هو فيؤمن بها، لأن العيش تحت حماية ألمانيا القوية والعظيمة والمحكومة بروعة والمنظمة ببراعة، لابد أن يترك التأثير الأعظم فائدة على الشخصية القومية اليهودية ... ولكن القيصر كان صديقاً طيباً جداً للسلطان عبدالحميد الثاني فرفض مقترحات هرتزل المريبة. وتحول هرتزل بذلك إلى بريطانيا.. كان هرتزل عملياً جداً فيما كتبه إلى الزعماء البريطانيين فاقترح في كانون الأول عام 1896م على اللورد سالزبوري خلق دولة يهودية تابعة وتتمتع بالحكم الذاتي في فلسطين، تشبه مصر، وتخضع لسيادة السلطان. إن هذه المسألة ممكنه إذا تم لنا الدعم، وأكرر بوضوح الدعم غير المنظور– من دولة كبرى... والفائدة التي يمكن أن تجنبها بريطانيا هي بناء خط حديدي عبر فلسطين يمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى الخليج العربي ويمكن أن تجني انكلترا هذه الفوائد بدون كلفة وبدون معرفة العالم باشتراكها ويمكن أن تكون لإنكلترا طريق احتياطية محايدة إلى الهند في حال بروز صعوبات في قناة السويس.

وحاول هرتزل، عندما اجتمع بملك إيطاليا في كانون الثاني عام 1904م أن يثير اهتمامه بمخطط طرابلس لحمل فائض الهجرة اليهودية إلى منطقة طرابلس تحت القوانين والمؤسسات الليبرالية الإيطالية . فأجابه الملك بأن ذلك أيضاً وطن لأناس آخرين. فرّد عليه هرتزل بأن تقسيم تركيا سيحدث حتماً ثم أنهى حديثه بقوله أن في مقدور إيطاليا أن تفعل الكثير من أجلنا لأن السلطان يخاف منها واعتقد هرتزل فعلاً أن دولة يهودية في الشرق لا تفيد دولة أوروبية واحدة فحسب بل أوروبا بكاملها وتحدث عن فوائد الدولة اليهودية عموماً بالنسبة لأوروبا. ويمكننا أن نعيد المنطقة المريضة في الشرق إلى حالتها الطبيعية . ويمكننا بناء طرق حديدية في آسيا وهي الطرق الرئيسية للشعوب المتمدنة، ولن تكون هذه الطرق الرئيسية عندئذ في أيدي أية دولة أوروبية واحدة [19] .

كان هرتزل يبدو وكأنه يتعاطف مع الأتراك، إلا أنه كان في السر يتآمر على الدولة العثمانية وسلطانها عبدالحميد بالذات. وكان يتحين ضعف السلطان ليفرض عليه مطالبه، فلم يكن يطرق بابه إلا عندما يتعرض السلطان إلى متاعب. ولم يكن يتخلى في أي وقت عن تقديم مغرياته للسلطان عندما التقى به عن هذا بل دار الحديث عن ديون الإمبراطورية وإمكانية التغلب عليها بمساعد الأموال اليهودية[20].

وكما ذكرنا فإن السلطان عبدالحميد وافق على استيطان اليهود في كافة أرجاء الإمبراطورية العثمانية باستثناء فلسطين. وبطبيعة الحال رفض هرتزل هذا المقترح. وعلى الرغم من انه زار إستانبول خمس مرات، إلا انه لم يكن يظفر بشيء فيرجع فاشلاً دون أن يتمكن في أكثرها من مقابلة السلطان .

وفي أواخر أيام هرتزل اقترح عليه أحد الرجالات الأتراك وهو نوري بك قنصل تركيا في فيينا السويدي الأصل وقدم عليه مشروعاً غريباً بالحصول على مبتغى الصهيونيين بالقوة وكان مقترحه بأن يبحروا في باخرتين، لنسف يلدز قصر السلطان عبدالحميد، وترك السلطان يهرب أو القبض عليه وتعيين سلطاناً أخر ولكن قبل ذلك تقام حكومة مؤقتة تعطيكم الامتياز لفلسطين.

ورد عليه هرتزل بالتفكير في الأمر لأرى ما إذا كان من الممكن أن أهتم بعمل كهذا ولو كان في حديث غير رسمي .

وقرر هرتزل بالفعل اللجوء إلى هذا المشروع إذا فشلت مساعيه الأخيرة السلمية في استانبول. وعلى الرغم من هذا فقد كان يخاف من عواقب المشروع لو فشل وأن يؤدي على مذبحه هائلة سُيمنى بها اليهود في الدولة العثمانية. فأعتذر لصاحب المشروع عن عدم تمكنه من قبول اقتراحه .

دور الصهاينة في تشويه سمعة عبدالحميد وتنحيته عن العرش :

مات هرتزل بعد أربعة أشهر من لقائه مع نوري بك. وإذا كان هرتزل أعتذر عن القيام بأي عمل عسكري ضد السلطان عبدالحميد وفضل الطرق السياسية والدبلوماسية مع الدول العثمانية والدول الغربية إلا أن أسلافه غيروا طريقة تعاملهم مع المسألة. وبعد منيت مساعي الصهيونية بالفشل ولن ينجحوا في إقناع السلطان عبدالحميد بالموافقة على استيطان اليهود في فلسطين ولن يتمكنوا من حمل القوى الأوروبية على إقناع السلطان أو الضغط عليه، وجدوا في شخص عبدالحميد عدوا لدوداً لهم فهوا الذي يحول دون تحقيق أمنيتهم القومية ويصر على موقفه الثابت، ولهذا غيروا طريقتهم ليبدؤوا مرحلة جديدة وهي :مواجهة السلطان سياسياً وعسكرياً والقضاء عليه وإبعاده عن مسرح الإمبراطورية مهما كلف الأمر.

وقبل هذا وذاك نجحت الصهيونية في تشويه سمعة السلطان عبدالحميد بغيه حشد الرأي العام ضده. وقد أفصح عن هذا الأمر ضابط يوناني يدعى ليونيدوس دواس في كتاب سري اقتصر توزيعه على ضباط الجيش اليوناني طبع سنة 1949م فذكر((إن الصهاينة هم الذين أطلقوا على السلطان عبدالحميد أسم السلطان الأحمر لأنه لم يصبح أداة طيعة لأمالهم الشيطانية وقاموا بعزم ثابت. واتخذوا جبهة معادية ضده فقاموا ببث دعايات مغرضة عن معاملاته السيئة للطوائف غير المسلمة التي كانت تحت حكمه وأنه يضطهدهم. ثم أردف قائلاً إن الصهاينة هم الذين حرضوا البلقان ضد الدولة العثمانية))[21].

كما كان دور الصهيونية كبيراً في تأسيس جمعية الاتحاد والترقي التي أطاحت بالسلطان عبدالحميد، وليس أدل على هذا مما أوردته جريدة التايمز في عددها الصادر في 1911/7/11م ((من المعروف أن لجنة سلانيك قد تشكلت تحت رعاية ماسونية بمساعدة اليهود والدونمه في تركية ومركزهم في سلانيك. وأن اليهود مثل عمانوئيل قره صو وسالم وساسون وفارجي ومزلياح ومن الدونمه مثل جاويد وعائلة بالجي قد لعبوا دوراً بارزا في تنظيم اللجنة وفي مداولات جهازها في سلاينك))[22].

وإلى جانب لجنة سلانيك كان هناك جمعية ثانية تسعى هي الأخرى إلى الإطاحة بنظام عبدالحميد وهي جمعية تركية الفتاه التي اتخذت من باريس مركزاً لها، وكان معضم أعضائها ينتسبون إلى الماسونية. ولم يكن هذا خافياً على السلطان عبدالحميد إذ ذكر في مذكراته :

((وقد تأكد لدى أن الذين أعرفهم (من أعضاء جمعية تركية الفتاه). هم كلهم ماسونيون ومرتبطون بالمحافل الإنكليزية ويتلقون مساعدات مالية منها. وسيكشف التاريخ فيما إذا كانت هذه المساعدات إنسانية أو سياسية ...))[23] .

ورأى قره صو (كاراسو) أن وجود جمعيتين احدهما في باريس والأخرى في سلانيك لا يخدم مصالحه فعمل جاهداً على توحيدهما. وتم له ذلك عندما أسس منهما جمعية واحدة وهي جمعية الاتحاد والترقي وجعل من المحافل الماسونية المنتشرة هنا وهناك مراكز لها وبدأ أعضاء الجمعية في بنشاطاتهم بالاتصال بضباط الجيش وطلاب الدارس العسكرية لحشدهم ضد السلطان عبدالحميد.

ويأتي الانقلاب العثماني سنة 1908م وتنحية عبدالحميد عن العرش في سنة 1909م أبرز أعمال الجمعية التي قامت بها. وصخرة الصهيونية العالمية كل إمكاناتها الإعلامية والمادية من أجل تحقيق الانقلاب على عبدالحميد فما نشرته من معلومات مغرضة مضللة ضد السلطان كان كافيا لشل شعور الناس. كما قدم قرهصو إلى أحد أعضاء الجمعية أربع صفائح مملوءة بالليرة الذهبية لتوزيعها على الثوار .

ثم حركت الجمعية قوة عسكرية من سلانيك إلى قصر السلطان. ولم يكن السلطات ميالاً إلى إراقة الدماء وطلب من حرس قصره رفع الأعلام البيضاء. فسقط القصر، ودخل عليه أربعة أشخاص ليلعنوا له أن الأمة عزلته، وكان بينهم قرهصو. وعندما رآه السلطان أومأ برأسه إليه سائلاً: حسناً وما شأن هذا اليهودي في مقام الخلافة .

وأخذ السلطان إلى منفاه في سلانيك ليبقي هناك ما تبقى من عمره، ولكن لما تفجرت الحرب البلقانية أعيد إلى استانبول حيث توفي في سنة 1918م[24] .

وبعد خلعه ومنفاه في سلانيك كتب عبدالحميد رسالة إلى أستاذه في الطريقة الشاذلية محمود أبي الشامات في دمشق يذكر فيها كيف ضحى بعرشه من أجل فلسطين ومما يذكر فيها :

((إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأراضي المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا المقترح. وأخيراً وعدوا بتقديم 150 مليون ليرة إنكليزية ذهباً، فرفضت هذا العرض بصورة قطعية أيضاً. وأجبتهم بهذا الجواب القطعي الأتي: ((إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً – فضلاً عن 150 مليون ليرة إنكليزية ذهباً – فلن أقبل بعرضكم هذا أبداً. لقد خدمت الأمة الإسلامية.. ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسَّود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي والخلفاء العثمانيين لهذا لن أقبل بعرضكم بوجه قطعي أيضاً .

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبعدونني إلى سلانيك فقبلت بهذا التكليف الأخير .

هذا وحمدت المولى وأحمده أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة – فلسطين ..))[25] .

الهوامش

1- مذكرات السلطان عبدالحميد، ترجمة محمد حرب، ط 4، 1998م، دار القلم، دمشق سوريا، ص 34.

2- علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، ط2، د . ت، ص 317.

3- Tarik Zafer tunya : turkiye, de siyasal Partilar, Istanbul, 1998,.

4- M. Lutfullah Karaman, Filistin, TDV. IA, Istanbul 1996, XIII, 93.

5- محمد فايز عبد أسعد، موقف الحكومات الألمانية من الهجرة اليهودية إلى فلسطين من 1800-1940، ضمن المؤتمر الدولي الثالث بتاريخ بلاد الشام، المجلد الثالث، عمان الأردن، ط1، 1983، ص 9.

6- Karpat; Ottoman Popuiation 1830-1914, The Univarsity of Wisconsin press, 1984, p.167,184.

7- Cevat Rifat Atilhan, 31 Mart Faciasi, istanpul 1969,p. 62-63.

8- Abdulhamid, in Hatira Defitari, istabul, 1975, p. 73.

9- خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه، 1908-1918م، بيروت 1973م، ص 24.

10- مذكرات السلطان عبدالحميد، المرجع السابق، ص 35.

11- عبدالعزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مطبعة جامعة القاهرة، مكتبة الأنجلوا مصرية، القاهرة، 1986م، ج4، ص2284.

12- محمد فايز عبد أسعد، المرجع السابق، ص54.

13- ابراهيم بيك حليم، التحفه الحليمية في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 2004م ، ص 371.

14- مذكرات السلطان عبدالحميد، المرجع السابق، ص85.

15- أرنست رامزور، تركية الفتاة وثورة 1908م، ترجمة احمد صالح العلي، بيروت، 1960م، ص-ص 47-48.

16- ج. هـ. جانس، الصهيونية وأسرائيل وأسيا، ترجمة راشد حمد، بيروت، 1972م، ص 77.

17- Tarik Zafer Tunya, 3;581.

18- عجاج نويهض، بروتكولات حكماء صهيون، بيروت، 1967م، ج2، ص 235.

19- أنظر :ج. هـ. جانس، 78 – 80 ، عن مذكرات هرتزل 794، 693، 501، 1474، 338 علي التوالي .

20- يوميات هرتزل، إعداد أنيس صايغ، ترجمة : هلدا شعبان صايغ، نشر مركز الأبحاث التابع لمنظمة التتابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1968، ص 46، 173-176 .

21- Osmanli Ansiklopedisi Istanbul, 1996, vi, 243-249.

22- خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص 44.

23- Abdulhamid,in Hatira Defteri, 60.

24- Atilhan 149, 175, 203- 204, Ayse osmanoglu, Badam Abdulhamid, Istanbul,

25- خيرية قاسمية، المرجع السابق، ص 401- 403.

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 15 (1): 124-140، 2011

Research Article

Open Access

الصهيونية السياسية من مؤتمر بال حتى وعد بلفور 1897 ــ 1917

إمحمد إبراهيم إمحمد[1]*

قسم التاريخ، كلية الاداب، جامعة عمر المختار

Doi: https://doi.org/10.54172/4j56kz89

المستخلص : يستكشف الدراسة الجوانب السياسية للصهيونية من مؤتمر بال حتى وعد بلفور. يقدم المستند تحليلاً للأحداث التاريخية والأحداث الرئيسية المتعلقة بتطور الصهيونية السياسية. يشمل المواضيع مثل أهمية مؤتمر بال في عام 1897، وإصدار وعد بلفور في عام 1917، والتأثيرات التالية على الحركة الصهيونية. تتناول الدراسة أيضًا السياق التاريخي المحيط بهذه الأحداث، بما في ذلك المشهد السياسي في تلك الفترة. بشكل عام، تعد هذه الدراسة مصدرًا شاملاً لفهم الأبعاد السياسية للصهيونية في الفترة التي سبقت وعد بلفور.

الكلمات المفتاحية: الصهيونية السياسية، وعد بلفور، مؤتمر بال، الحركة الصهيونية

Political Zionism from the Basel Conference to the Balfour Declaration 1897 - 1917

Emhammed Ibrahim Emhammed

History Department, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University

Abstract: The study explores the political aspects of Zionism from the Basel Conference to the Balfour Declaration. The document provides an analysis of historical events and key milestones related to the development of political Zionism. It covers topics such as the significance of the Basel Conference in 1897, the issuance of the Balfour Declaration in 1917, and the subsequent impact on the Zionist movement. The study also discusses the historical context surrounding these events, including the political landscape of the time. Overall, this research serves as a comprehensive resource for understanding the political dimensions of Zionism in the period leading up to the Balfour Declaration.

Keywords: Political Zionism, Balfour Declaration, Basel Conference, Zionist movement

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

تمهيد:

اتسم تاريخ المنطقة العربية الحديث والمعاصر بالكثير من الأحداث السياسية المرتبطة، بوجود المستعمر الأوروبي والتي كان لها الأثر الواضح والكبير في بلدان المنطقة لما نتج عنها من مشاكل متأزمة لازلنا نعاني من ويلاتها حتى وقتنا الحاضر، ولعل أبرز هذه الأحداث في بدايات القرن العشرين المحاولات الحثيثة من قبل القوى الاستعمارية في إيجاد كيان للدولة اليهودية داخل المنطقة العربية والتي أسفرت عن قيام دولة إسرائيل داخل الأراضي الفلسطينية عام 1948م .

كان وراء وجود هذا الكيان المغتصب العديد من الجهود الدولية سعت لحشدها قوى يهودية عملت بشكل جدي ومميز في فترات تاريخية سابقة ظهرت بوادرها السياسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، عندما ظهر مصطلح الصهيونية السياسية التي ترجم أهدافها مؤتمر "بال" في سويسرا عام 1897م، ليكون بداية للعمل السياسي الصهيوني في سبيل تحقيق هدف الصهيونية بصدور وعد بلفور عام 1917م الذي أصدره وزير الخارجية البريطاني آنذاك " آثر جيمس بلفور".

ونظراً لأهمية هذه الفترة في العمل السياسي الصهيوني المنظم على المستوى الدولي وما حفلت به من جهود سواء داخل فلسطين أو في أوروبا والعالم جاءت دراستنا لهذا الموضوع تحت مسمى الصهيونية السياسية 1897 – 1917م وهي الفترة الواقعة بين عقد الصهيونية لمؤتمرها الأول في مدينة "بال" وحتى صدور وعد بلفور الذي أعطت بموجبه بريطانيا الشرعية إن جاز التعبير لليهود في إقامة دولتهم داخل فلسطين، و نهدف من وراء هذه الدراسة إلى توضيح النقاط الهامة التي ارتكزت عليها الحركة الصهيونية في عملها السياسي وجهودها من خلال المنظمات الصهيونية المتعددة في كافة أرجاء العالم، والمسار الذي اتبعه زعماء الحركة حتى ترجم هذا المسار وتلك الجهود في صدور وعد بلفور، وحتى نتمكن من الإحاطة بحيثيات الموضوع وبحثه بشكل علمي ومنهجي سوف نتناول في البداية التطور التاريخي لمفهوم الصهيونية السياسية وكيفية تحول هذا المفهوم من ديني إلى سياسي بالتركيز على أهم الأحداث الممهدة لذلك خلال القرن التاسع عشر الميلادي، ومن ثم تبحث الدراسة في الجهود العملية التي صاحبت مؤتمر "بال" ومقرراته وما ترتب عليه من خطوات قام بها زعماء الحركة الصهيونية لاسيما تلك الخطوات والجهود المصاحبة للحرب العالمية الأولى ومدى استفادتهم من الأوضاع الدولية في حشد التأييد العالمي والضغط على بريطانيا التي منحتهم ذلك الوعد المشئوم لنعطي بذلك صورة واضحة فعلية عن الكيفية التي تحولت بها الصهيونية من مفهومها الديني إلى السياسي والذي تحقق من خلاله حلم الصهيونية.

التطور التاريخي للصهيونية السياسية:

من الأهمية بمكان التمييز بين نمطين من الصهيونية لا يزالان قائمين الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية، فكلمة صهيونية ترجع إلى صهيون وهو أحد التلال أو الجبال التي تقوم عليها مدينة القدس القديمة، وهو اسم كنعاني الأصل ورد ذكره في التوراة والإنجيل، وتشير بعض الروايات أن لفظ صهيون عرف في بيت المقدس زمن اليبوسيين أبناء عمومة الكنعانيين العرب قبل ظهور بني إسرائيل بنحو ألفي عام وأقاموا حصناً عليها، لذلك فإن الكلمة كنعانية وليست عبرية يهودية، شأنها في ذلك شأن أكثر أسماء مدن وقرى فلسطين القديمة، التي كانت ولا زالت تحمل أسمائها الكنعانية الأصلية حتى يومنا هذا، وكان غرض اليهودية العالمية من اختيار لفظة صهيون إثارة الشعور الديني العنصري لدى يهود العالم واكتساب تأييد العناصر المسيحية الغربية وعطفها [1].

كانت الصهيونية الدينية من الأسس التي شكلت مناخاً خصباً وأرضية صلبة للصهيونية السياسية؛ إذ كانت ترتكز على فكرة تجميع اليهود داخل وطن قومي واحد، استقر زعماء بني صهيون على جعل فلسطين ذلك الموطن بناء على أطروحة دينية تتلخص في بناء الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى ليحكم اليهود العالم من جبل صهيون في القدس، وعلى هذه التلة ابتنى "داوود عليه السلام" قصره بعد انتقاله من (جبرون)– الخليل– إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وصارت كلمة صهيون مع الزمن تعني الحكومة اليهودية الدينية، وقد أطلقت تسمية الصهيونية على منظمة إرهابية أسسها يهود روسيا منتصف القرن التاسع عشر الميلادي عرفت باسم (عشاق صهيون) أو (أحباء صهيون) وانتشر نفوذها بشكل واسع داخل روسيا وكان لها أعمال سرية تهدف إلى هدم القيصرية الروسية وامتد نفوذ هذه المنظمة في عدة بلدان أوروبية، وازداد شيوع هذا المصطلح بعد أن استخدمه الكاتب اليهودي النمساوي (ناشاف بروبناوم 1864 – 1937م) ووظفها في كتابته تحت اسم الاتجاه السياسي (الجديد) ليعبر به عن بؤس اليهود نتيجة لما يسمى بالمسالة اليهودية وطالب بتحويلها إلى حركة سياسية وتحويل التطلع الديني إلى برنامج سياسي، وسار في هذا الجانب عدد من الكتاب اليهود في تلك الفترة من خلال الترويج إلى أسطورة مفادها أن فكرة إنشاء الوطن اليهودي في فلسطين قديمة تقوم على هيكل سليمان وترجع إلى ما يقرب من ألفي عام [2] .

وفي مرحلة انتقال الصهيونية من إطارها الديني إلى مفهومها السياسي عاش معظم اليهود وزعماء الحركة الصهيونية الدينية في كنف المسيحية داخل أوروبا مما أضفى عليها صبغة الصهيونية المسيحية، وكان ذلك أسبق بثلاث قرون على ظهور الصهيونية اليهودية[3]، حيث كان اليهود يشكلون جزء من نسيج المجتمعات التي يعيشون بها ولا يشكلون قطاعاً منفصلاً عن تلك المجتمعات، والحال نفسه ينطبق على اليهود المنتشرين في المنطقة العربية إذ يعيشون في مجتمعات صغيرة يمارسون من خلالها

أنشطتهم المختلفة، وبتحول الأنظمة الإقطاعية في المجتمعات الأوروبية إلى أنظمة رأسمالية ازدادت مكانة اليهود الاقتصادية من خلال عملهم بالسمسرة والحرب واحتكارهم للتجارة والصناعة وأعمال المال، ذلك أن الأنظمة الرأسمالية صارت ميداناً للمنافسة مما أتاح لليهود احتكار الكثير من الأنشطة الاقتصادية في عدة بلدان أوروبية مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، الأمر الذي أثار استياء شعوب وحكومات تلك البلدان لاسيما بعد أن ازدادت أعداد اليهود المهاجرة من دول شرق أوروبا [4].

ففي بداية هذا القرن اشتدت حملة الدعوات للمشروع الاستيطاني اليهودي في فلسطين على أساس الأفكار الدينية المطالبة بذلك، وازداد ترويج تلك الأفكار بعد بروز الأطماع الاستعمارية الأوروبية في الشرق الأوسط فيما يخص تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية والتي عرفت حينذاك بالمسالة الشرقية، وقد تولى الأعداد للترويج لهذه الأفكار عدد من الزعماء والمفكرين والساسة اليهود وغيرهم كان لهم السبق في وضع اللبنات الأولى للصهيونية السياسية من أمثال اللورد "شاتسبوري" الذي دعا إلى حل المسالة الشرقية عن طريق استعمار اليهود لفلسطين بدعم من الدول العظمى وساعد في ذلك اللورد "بالمر ستون" الذي شغل عدة مناصب منها وزير خارجية بريطانيا ثم رئيس مجلس وزرائها، حيث قام بتعيين أول قنصل بريطاني في القدس عام 1838م وتكليفه بمنح الحماية الرسمية للمستوطنين اليهود في فلسطين كما طلب من السفير البريطاني في القسطنطينية بالتدخل لدى السلطان العثماني للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين [5]، ومن الزعامات اليهودية النشطة في هذا المجال الحاخام (يهوذا القالي 1798 – 1878م) الذي عاش في البلقان عقب الحرب اليونانية التحررية، ونشر كتيباً بعنوان (اسمعي يا إسرائيل عام 1834م) واقترح فيه إقامة مستعمرات يهودية في فلسطين وهاجر إلى فلسطين وتوفي بها فقام أتباعه بشراء قطعة أرض وانشأواعليها أول مستعمرة زراعية لليهود في فلسطين [6]، وفي عام 1860م نادى الحاخام "زفي هيرش كالبشر" بضرورة هجرة اليهود إلى فلسطين وكان أبرز احد مؤسسي جمعية رعاية الاستيطان اليهودي في فلسطين في فرنكفورت، كما برز المفكر الاجتماعي اليهودي "موسى هيس" صاحب كتاب (روما والقدس) الذي نشره عام 1862م واقترح فيه توطين اليهود في فلسطين، ومن الشخصيات التي أضفت حماسة واضحة في الفكر الاستيطاني الصهيوني "ليون بنسكر" وهو طبيب يهودي روسي صاحب كتاب (التحرر الذاتي) عام 1882م وطالب فيه بتحرير اليهود ذاتياً من المجتمعات التي يعيشون فيها والسماح لهم بالهجرة إلى وطن خاص بهم [7].

وعلى هذا النحو كان معظم المهتمين بالشأن اليهودي يدعون وبصفة مستمرة لتجسيد فكرة الوطن القومي على أرض الواقع مستغلين كل الظروف والمناسبات الدولية بل وحتى الأزمات التي يتعرض فيها اليهود للمساس ببعض حقوقهم للمطالبة بإنشاء كيان لهم، ولعلّ حادثة اغتيال القيصر الروسي "اسكندر الثاني" كانت من أبرز الذرائع التي استغلها اليهود لمطالبهم عقب ما لحق بهم من تنكيل في روسيا بعد

صدور مجموعة من القوانين أثر حادث الأغتيال في مايو 1882م التي استهدفت بعض الحقوق لليهود في روسيا [8].

بالإضافة إلى اضطهادهم في بولندا وألمانيا، وبعض الحوادث الفردية الأخرى في عدد من البلدان مثلما حدث في فرنسا التي اتهمت الضابط اليهودي الفرنسي "الفريد ريفوس" بتهمة تزويد السفارة الألمانية في باريس بمعلومات عن القوات الفرنسية والحكم عليه بالسجن المؤبد، ورغم أن السلطات الفرنسية اعادة محاكمته وبرئته من التهمة إلا أن اليهود استغلوا هذه الحادثة بأنها تأتى ضمن عمليات التنكيل والاضطهاد لليهود.

ونتيجة لهذه الأحداث وغيرها عمد زعماء اليهود ومنظري الصهيونية إلى الترويج في المجتمعات الأوربية بأن الروح المعادية لليهود لن تخبوا وإن اليهود معرضون في أي زمان ومكان للاضطهاد، وعلى ذلك فإن إدماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون بها ليس حلاً جذرياً للمسالة اليهودية، وبدأت الصبغة السياسية تأخذ مجالها في مطالبات قادة اليهود وزعمائهم، ودارت معظم هذه المطالبات في أن قطاعات واسعة من اليهود المقيمين في شرق أوروبا يعيشون في ظروف قاسية ومتناهية السوء، وإن تهجيرهم لفلسطين يمثل حلاً جوهرياً لمشاكلهم، وبنو هذه النتيجة على أن فلسطين أرض لا تزال بكراً، وإن فيها مجالاً واسعاً لتنفيذ مشروعات التنمية الاقتصادية [9]، وسارت الخطوات الصهيونية بالاستيطان داخل فلسطين في هذا الاتجاه حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي والتي توجت بعقد مؤتمر "بال" بسويسرا على يد رائد الصهيونية السياسية "ثيودور هرتزل" الذي شكل نقطة محورية في تاريخ الصهيونية وأطماعها السياسية.

"هرتزل" مؤسس الصهيونية السياسية :

بقيت الحركة الصهيونية مفتقرة إلى التنظيم حتى تطورت إلى حركة سياسية على يد "ثيودور هرتزل" عام 1860 – 1904م المؤسس الأول للصهيونية السياسية العالمية [10]، ولد "هرتزل" في بودابست في 2 مايو عام 1860م وكان الابن الوحيد لأحد الأثرياء اليهود، وانتقل مع أسرته إلى فينا التي أتمّ فيها تعليمه الجامعي وحصل فيها على درجة الدكتوراه في الحقوق عام 1884م ولم يعمل بالمحاماة إلا عاماً واحداً؛ إذ كانت ميوله للصحافة التي عمل فيها محرراً لصحيفة أدبية في إحدى الصحف، ثم عرضت عليه إحدى أكبر الصحف النمساوية أن يكون مراسلها في باريس عام 1896م، وانشأ في عام 1897م مجلة أسبوعية اسماها (العالم) أصبحت فيما بعدها الناطق الرسمي باسم الحركة الصهيونية، وقد أتاح له وجوده في باريس أن يهتم بالمسألة اليهودية التي كانت العاصمة الفرنسية مسرحاً لقضية اليهودي الفرنسي"دريفوس" المتهم بتقديمه لمعلومات عسكرية للقنصل الألماني، مما زاد ميوله نحو المسالة اليهودية

التي أثارها الساسة والمفكرين اليهود في كتابتهم بضرورة إيجاد حل جذري لما يتعرض له اليهود، فكان من أشد المتحمسين لفكرة الوطن القومي حتى لا يكون اليهود كبش فداء في مثل هذه القضايا [11].

وقد عرض هرتزل تبنيه الجارف للفكرة الصهيونية الاستيطانية في كتاب وضعه عام 1895م بعنوان (الدولة اليهودية) مؤكداً فيه أن المسألة اليهودية ليست اجتماعية أو دينية بل هي مسألة قومية لا يمكن حلها إلا عن طريق تحويلها إلى قضية سياسية عالمية تتم تسويتها على يد الدول الكبرى مجتمعة، وأكد على منح اليهود السيادة فوق رقعة من الأرض – لم يكن هناك إصرار على أنها فلسطين بالتحديد – كافية لتلبية متطلبات إقامة دولة قومية على أن يترك الباقي لليهود أنفسهم، إضافة إلى إنشاء شركة على غرار الشركات الاستعمارية الكبرى في المستعمرات الأوروبية في أسيا وأفريقيا تقوم بتوطين اليهود واستغلال موارد البلاد والسيطرة عليها [12]، واقترح أن يكون رأسمال هذه الشركة خمسين مليون جنية إسترليني وأن يكون مقرها الرئيسي في لندن، ورشح فلسطين أو الأرجنتين كوطن مرتجي لليهود، ومن الواضح أن ترشيح الأرجنتين كان إرضاء للأطراف الرافضة لفلسطين، ومنهم الكاتب الصهيوني الشهير "ليونبكسره" صاحب كتاب التحرر الذاتي ووافقه "هرتزل" في البداية[13]، ولكن فلسطين أصبحت الخيار الأول لمعظم الأطراف لأهميتها الدينية، بالإضافة إلى كونها منطقة تجاذب بين القوى الكبرى، وهي أيضاً تقع ضمن أملاك الدول العثمانية المراد تقسيمها، هذا إلى جانب استقرار الدول الاستعمارية الكبرى (فرنسا – بريطانيا) كان يستوجب إيجاد قوة موالية في المنطقة لتحقيق المطامع الاستعمارية وقد أدرك زعماء اليهود هذه الحقيقة.

وأكد "هرتزل" في كتابه بأن لا يكون توطين اليهود عن طريق التسلل إلى الإقليم الذي يقع عليه الاختيار، ولكن يتم التوطين بالهجرة المنظمة، وإذا وقع الاختيار على فلسطين فيجب أن تكون الأماكن المقدسة التابعة للديانات الأخرى مصونة، وأثار هذا الكتاب جدلاً واسعاً بين أوساط اليهود فمنهم من أيدها كونها حلاً لخلاص اليهود من معاناتهم في البلدان التي يعيشون بها، بينما رأى الفريق المعارض أن ذلك يمثل خروجاً على تعاليم الدين، ويعد سبباً لمزيد من المضايقات التي يمكن أن يتعرض لها اليهود في البلدان القاطنين بها [14].

وفي سبيل تحقيق الأهداف السياسية التي نادى بها "هرتزل" ورفاقه فقد حاولوا أن تكون حركتهم ذات طابع علماني تهدف إلى إحياء المشاعر القومية لليهود وليس إحياء اليهودية، ولكنهم اصطدموا بالمدافعين عن التراث الديني والثقافي لليهود، وخاصة من يهود شرق أوروبا الذين كانوا يعيشون في عزلة عن الحركات التقدمية التي عرفتها شعوب أوروبا الغربية، ومن أبرز من حمل لواء اليهودية الثقافية في مواجهة الصهيونية السياسية(أحاد ها عام) الذي دعا بأن تكون الدولة اليهودية مركزاً روحياً لليهود، وأن تكون الصهيونية هي الحل للمشكلة اليهودية وليس لمشكلة الشعب اليهودي [15].

أمام هذا الانقسام بين معارض ومؤيد دعا "هرتزل" إلى حسم الجدل يعقد مؤتمر دولي لليهود لتحقيق متطلباتهم من جهة، وتقريب وجهات النظر وحسم الجدل المترتب على هذه القضية، وتمّ اختيار مدينة ميونخ في البداية مكاناً لانعقاد المؤتمر ولكن رفض المعارضين للتواجد بالأراضي الألمانية لاسيما يهود الشرق فقد وقع الاختيار على مدينة بال السويسرية لعقد المؤتمر.

مؤتمر "بال" 1897والبرنامج الصهيوني :

على الرغم من العقبات العديدة التي واجهت "هرتزل" إلا أنه تمكن من عقد المؤتمر الصهيوني الأول بحضور200 عضو يمثلون طوائف عديدة من اليهود في العالم، وافتتح "هرتزل" المؤتمر بخطابه الشهير الذي أورد فيه (إننا اجتمعنا هنا لكي نضع الحجر الأساسي للمأوى الذي سيضم إليه الشعب اليهودي، وإن العالم كانت معلوماته دائماً غير صحيحة عن الشعب اليهودي، وإن الشعور بوجوب اتحادنا، ذلك الشعور الذي دفعنا إليه سائر البشر في مراحل عدة وبحرارة...، وقد بثّ فينا هذا الاضطهاد القوة من جديد، إن الصهيونية هي عودة اليهود إلى حظيرة الفكرة اليهودية..ونحن الصهيونيين تعمل على إحياء روح الشعب اليهودي وبث الحماس فيه كي يمد كل يد المساعدة للآخر، وعلينا أن ننشئ حالاً والأن هيئة منظمة تصبح دائمة وكان الشعب اليهودي مفتقراً إليها إلى اليوم) [16].

ودار النقاش في المؤتمر طيلة ثلاثة أيام من 29 إلى 31 أغسطس وحدد المؤتمر الصهيوني الأول هدف الصهيونية بما يلي:-

(إن غاية الصهيونية هي إيجاد وطن للشعب اليهودي في فلسطين) يضمنه القانون العام، ولخص المؤتمر وسائل تحقيق هذا الهدف فكانت:

1. العمل على إنشاء مستعمرات زراعية عمرانية في فلسطين تأوي عمّال الزراعة والصناعة لليهود.
2. تنظيم اليهودية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية تتلاءم مع القوانين المتبعة في كل بلد
3. تغذية وتقوية الشعور والوعي القومي اليهودي.
4. اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على الموافقة الحكومية الضرورية لتحقيق غاية الصهيونية [17].

والجدير بالذكر إن هذا المؤتمر لم يضع الصورة النهائية لفلسطين كوطن قومي رغم أن عدد من المؤتمرين كان مشدوداً بعاطفته الدينية إلى فلسطين في حين كان البعض الآخر على استعداد لقبول أي إقليم آخر يجمع شمل اليهود المشتيتين في العالم، وقد ظلت المؤتمرات من الثاني وحتى السادس (1898

– 1903م) على التوالي تناقش الإقليم الذي يقع عليه الاختيار النهائي كوطن قومي لليهود، ولم تحسم القضية إلا في المؤتمر السابع عام 1905م عندما تقرر بأغلبية ساحقة العمل على أن تكون فلسطين دون سواها هي الوطن القومي لليهود [18].

وبالعودة إلى مؤتمر "بال" نجد أن الحركة الصهيونية قد حددت هدفها في إنشاء الحركة السياسية، كما أقرّ العلم الصهيوني والنشيد القومي، واتخذ "هرتزل" رئيساً للحركة، وقد بدأ على الفور العمل للحصول على الشرعية الدولية لمطالب اليهود ومقررات المؤتمر، وسعت رئاسة الحركة في وضع برنامج عملي لتنفيذ هذا المخطط يقوم على ثلاثة خطوط (التنظيم – والاستعمار أو الاستيطان – ثم الدبلوماسية أو المفاوضات)[19]، وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف تمّ إنشاء مؤسستين الأولى هي لجنة العمل، والثانية البنك الاستعماري اليهودي أو (الكيرن كايمت) وقد أسسه المؤتمر الثاني عام 1898 برأسمال قدره ثلاثة ملايين جنيه إسترليني،(ومما يجدر ذكره في برنامج عمل المؤتمر الأول أنه تجنب ذكر كلمة دولة وأحلّ محلها عبارة وطن يضمنه القانون العام، وهي عبارة غامضة كان المقصود منها مساعدة الحركة الصهيونية على كسب عطف وتأييد أكبر عدد ممكن من اليهود لاسيما الطبقة البرجوازية التي تعيش في غرب أوروبا والولايات المتحدة)[20].

مما سبق يتضح أن مؤتمر "بال" أظهر إلى عالم الوجود المنظمة العالمية الصهيونية في إطارها السياسي ،إذ تبنت هذه المنظمة تحقيق الأهداف المنشودة لليهود لتصبح في شكل حكومة قبل الدولة من خلال لجان عملها المتعددة وجهودها الدولية المنظمة ليكون بذلك عام 1897م هو اللبنة الأولى في تأسيس الدولة اليهودية، ليكون هذا المؤتمر بمثابة المؤتمر التأسيسي للدولة.

انعقد المؤتمر الصهيوني في مدينة "بال" في الفترة من 28 حتى 31 أغسطس 1898م وبلغ عدد أعضائه ضعف عدد أعضاء المؤتمر الأول، ومن أهم مقرراته إلى جانب إنشاء البنك اليهودي، قرر زيادة الاهتمام بتعليم اللغة العبرية حتى يصبح يهود العالم أمة تتكلم لغتها القومية ونتج عن هذا المؤتمر تأسيس عدة جمعيات صهيونية في أنحاء مختلفة من العالم [21].

وتركزت جهود الصهيونية بعد هذا المؤتمر نحو استمالة ألمانيا، حيث اجتمع "هرتزل" في أكتوبر مع القيصر الألماني "ويلهام" (غليوم الثاني) في استانبول عند مرور القصير الألماني بها، وقد اقترح "هرتزل" إنشاء شركة مسجلة لأعمار الأراضي في فلسطين يديرها الصهاينة بإشراف ألماني، ولكن القيصر الألماني رفض هذا المقترح في اجتماعه الثاني مع "هرتزل" في فلسطين نهاية عام 1898م خوفاً من إثارة فرنسا وبريطانيا وروسيا إضافة إلى عدم رغبة ألمانيا في الاصطدام بالدولة العثمانية [22].

وفي المؤتمر الثالث الذي انعقد في مدينة "بال" أيضاً في الفترة من 15 إلى 18 أغسطس1899، انضمت عدة جمعيات صهيونية إلى الحركة ومعظمها كان من رومانيا، وأعلن "هرتزل" في هذا المؤتمر على ضرورة التركيز على الدولة العثمانية دون وسيط وأكدّ أن جهوده سوف تتركز على مطالبة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني باستصدار قانون يبيح لليهود الاستيطان في فلسطين، وعرض في هذا المؤتمر أحد أعضاء الحركة موضوع استيطان اليهود في جزيرة قبرص، ولكن طلبه هذا تمّ معارضته بصورة كبيرة [23].

واجتمع المؤتمر الصهيوني الرابع في لندن في الفترة من 13 إلى 16 أغسطس 1900م، وكانت فكرة "هرتزل" من عقد هذا المؤتمر في بريطانيا جذب اهتمام الحكومة والجمهور الانجليزي للمطالب الصهيونية لاسيما وإن بوادر الرفض العثماني لمطالب الحركة كان تلوح في الأفق وهو ما حصل بالفعل عام 1901م عندما رفض السلطان عبد الحميد مطالب "هرتزل" واصدر قانوناً يحرم فيه بيع الأراضي لليهود في فلسطين [24]، وهذا ما حذا "بهرتزل" إلى التوجه الكامل نحو الحكومة الانجليزية صاحبت السيادة على أرجاء واسعة من العالم [25]، وعلى هذا يمكن اعتبار عام 1901م هو بداية التوجه العملي للحركة الصهيونية لتحقيق مطالبها من خلال الحكومة البريطانية.

الجهود البريطانية والغربية المساندة للصهيونية (1901 – 1917م) :

بعد أن صاغ المؤتمر الصهيوني الخامس المنعقد في "بال" في ديسمبر 1901م النظام الأساسي للمنظمة الصهيونية والذي بمقتضاه أصبح انعقاد المؤتمر كل سنتين بدل كل سنة تركزت جهود زعماء الحركة نحو دول غرب أوروبا والولايات المتحدة، وبما أن بريطانيا كانت تمثل أقوى الدول الاستعمارية آنذاك فقد اتخذها الصهاينة منطلقاً لتوجهاتهم خاصة وإن فرنسا الند القوي لبريطانيا لم تبدي رغبة حقيقية في مساندة المطالب الصهيونية إيماناً منها بأن الحركة الصهيونية ما هي إلا أداة في يد ألمانيا للإضرار بمصالح فرنسا، كما أن اليهود الفرنسيين لم يعتنقوا الصهيونية وظلوا يعارضونها بشدة، وإلى جانب ذلك فقد كان الفرنسيون يخشون أن يترتب على تأييدهم للصهيونية تقود أنصارهم من العناصر المسيحية في بلاد الشام، ومن ناحية أخرى فقد كان الصهاينة في قرارة أنفسهم يفضلون إذا ما أتيح لهم إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ألا يكون هذا الوطن تحت حماية فرنسا خشية عدم سماح فرنسا بقيام ثقافة يهودية مميزة عن الثقافة الفرنسية وإنما ستصر على أن تطبع الحياة في البلاد التي تحت سيطرتها بالطابع الفرنسي، ومن ثم كان الصهاينة يفضلون السيادة البريطانية [26].

اتجه "هرتزل" بعد ذلك إلى بريطانيا وأثار القضية الصهيونية في الصحافة ومع الزعماء السياسيين وكان الرأي العام مهيأ للاستماع إلى "هرتزل" لاسيما بعد أن تدفقت أعداد كبيرة من اليهود المهاجرين من شرق أوروبا إلى بريطانيا.

لذلك جاء التعاطف البريطاني مع مطالب اليهود ولكن الحكومة البريطانية تحفظت على فلسطين في البداية خشية إغضاب الدولة العثمانية مما جعل "هرتزل" يعرض مشروعات بديلة، فاقترح على "جوزيف تشمبر لين" وزير المستعمرات أن يسمح لليهود باستيطان جزيرة قبرص فرفضت بريطانيا طلبه، ورفضت طلباً آخر باستيطان اليهود في العريش، وعرضت بريطانيا عوضاً عن ذلك أوغندا، وتزامن هذا العرض مع انعقاد المؤتمر الصهيوني السادس الذي شكل لجنة لاستكشاف أوغندا، وأثار هذا الاختيار انقساما في الحركة الصهيونية خاصة بعد وفاة "هرتزل" عام1904م، فظهر فريق مؤيد لهذه الفكرة وعرف بالسياسيين، وفريق آخر معارض عرف بالعمليين الذي رفض أي وطن بديل عن فلسطين لاعتبارات دينية وعلى رأس هؤلاء "حاييم وايزمن" الذي أصبح من أكبر الشخصيات الصهيونية بعد "هرتزل" [27] .

عمل الصهاينة وبجد داخل الأراضي البريطانية منذ مطلع القرن العشرين على إيجاد مؤسسات داعمة لمطالبهم بداية بافتتاح بنك انجلوا – فلسطين عام 1903م، كما بدأ الصندوق القومي اليهودي في ابتياع الأراضي عام 1905م، وافتتح في عام 1908م مكتب فلسطين في يافا، ثم قاموا في نفس السنة بتأسيس شركة تطوير أراضي فلسطين لكي تعد الأراضي للاستيطان، وقد استطاعت الصهيونية بزعامة "وايزمن" اختراق الحكومة البريطانية في وقت وجيز، وحصلت على تأييد عدد من المسئولين في الحكومة البريطانية ومن أبرزهم "هربرت صموئيل" الذي أصبح وزيراً للدولة عام 1916م، و"لويد جورج" الذي صار رئيساً للوزراء عام 1916م، ورئيس تحرير جريدة المانشستر جارديان، ورئيس تحرير جريدة التايمز اللندنية وعدد من الشخصيات الأخرى [28].

استمرت الجهود الصهيونية طوال العشر سنوات الأولى من القرن العشرين في العمل بجد داخل بريطانيا لحشد التأييد للمطالب الصهيونية، وسنحت الفرصة لذلك باندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914م، ففي هذا العام عرض "وايزمن" الموقف الصهيوني الذي سيقدم للحكومة البريطانية على صديقة " صموئيل" وذكر فيه : إننا نستطيع القول بصورة مقبولة أنه في حالة وقوع فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني، وإذا ما قامت بريطانيا بتشجيع استقرار اليهود هناك باعتبار فلسطين محمية بريطانية، فإننا نستطيع خلال عشرين إلى ثلاثين سنة جمع مليون يهودي هناك، وقد يكون هذا العدد أكثر من ذلك. وسيشكلون حرساً هاماً لقناة السويس، وفي ذلك دلالة واضحة على حرص"وايزمن" في جذب اهتمام الحكومة البريطانية نحو فلسطين على وجه التحديد ومحاولة إيجاد غطاء بريطاني رسمي مقابل تقديم فروض الولاء في حالة تحقيق الرغبة الصهيونية باللعب على وتر قناة السويس التي كانت بريطانيا تخشى من المنافسة الفرنسية حولها .

ومن الواضح أنه كان وراء السياسة الصهيونية في جذب الحكومة البريطانية نحو فلسطين عدة أهداف أهمها:

- إقامة انتداب بريطاني في فلسطين .
- أن يقوم هذا الانتداب على تسهيل الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتوطين اليهود الذي سينتهي بالسيطرة الصهيونية على فلسطين تحت المصالح المشتركة للطرفين في المنطقة [29].

وبعد أن دقت الحرب طبولها ازدادت الجهود الصهيونية نشاطاً ، إذ عملت على تحقيق أهدافها وكرّس الصهاينة جهودهم في البلدان الغربية والولايات المتحدة من أجل الحصول على تعهد بإنشاء كومنولث يهودي وفتح أبواب فلسطين أمام هجرة غير مقيدة [30]، ونجحت مساعي الصهيونية بالتنسيق بين "وايزمن" في بريطانيا و "براندیز" زعيم المنظمة الصهيونية في الولايات المتحدة في جذب الانتباه الرسمي للدول الكبرى تجاه قضية اليهود في فلسطين، ومن نتائج ذلك المراسلات التي تلقتها وزارة الخارجية الأمريكية من اليهود النافذين في السياسة الأمريكية وأعوان الصهيونية في عدد من الدول الأوروبية ومنها جهود السفير الأمريكي في تركيا "مورغنثو" وهو يهودي الأصل بذل جهداً كبيراً في محاولة إقناع استانبول بجدوى المطالب اليهودية في فلسطين [31].

وعلى الصعيد البريطاني قام " صموئيل" نصير الصهيونية برفع مذكرة حول موضوع إنشاء وطن يهودي في فلسطين إلى السير "أدوار جراي" وزير الخارجية، وقد صرح "جراي" بأنه سيعمل على خلق دولة كهذه في المستقبل، وبذلك انضم إلى صفوف الصهيونية في بريطانيا، وفي يناير عام 1915م أصدر " صموئيل" مذكرة رسمية معنونة (مستقبل فلسطين) تدعوا إلى الهجرة اليهودية، ولكن هذه الطموحات اصطدمت بمعارضة رئيس الوزراء البريطاني آنذاك "هربرت اسكويت" الذي كان مصراً على سياسة استبدال الأتراك بالعرب [32].

أمام هذه المعارضة عمدت الصهيونية في بريطانيا إلى شن حملة دعائية لتشكيل لجنة (فلسطين البريطانية) التي تهدف إلى نشر الأفكار الصهيونية وكسب التأييد لها، وسارت حملة الدعاية خلال عامي 1915 – 1916م فى محاولات سياسية من قبل المنظمة الصهيونية لإقحام الحكومة البريطانية في سياسة رسمية تلتزم بتأييد اليهود في الوقت الذي كان الصراع على أشده بين الأطراف المتحاربة من جهة والمراسلات المكوكية بين بريطانيا والعرب من جهة أخرى (مراسلات الحسين مكماهون) الأمر الذي أيقنت من خلاله بريطانيا وحلفائها إن العرب أخذوا ينفضون أيديهم من الأتراك، كما أدرك الحلفاء أن انهيار الإمبراطورية العثمانية وضياع ولاياتها العربية أصبح وشيكاً، ومن ثم فإن ملء الفراغ في المنطقة أصبح ضرورياً، حتى لا يحتدم الصراع بين بريطانيا وحليفاتها للأطماع المتضاربة لهم في المنطقة [33].

وفي أوائل عام 1916م أخذت الحكومة البريطانية تفكر جدياً في اتخاذ موقفاً رسمياً أكثر تأييداً للصهيونية، وذلك عن طريق جس نبض حكومات فرنسا وروسيا والولايات المتحدة فقام السير "أدوار جراي" بإرسال مذكرة إلى وزير الخارجية الروسي يوضح فيها رأي بريطانيا في العلاقة بين اليهود، وفلسطين متضمنة حرص بريطانيا على إيجاد سبل تكسب إسناد أكثرية اليهود في العالم لقضية الحلفاء، واقترحت المذكرة التوصل إلى نوع من الاتفاقات التي تساعد على كسب اليهودية العالمية بتسهيل تواجدهم في فلسطين، وقد أبدى الروس مساندتهم للعرض، ولكنهم شددوا على وجوب الحفاظ على المصالح الدينية في الأراضي المقدسة.

تولى قيادة هذه المرحلة من الجانب البريطاني "مارك سايكس" الذي كان يشغل منصب وكيل في وزارة الحرب البريطانية عن شؤون الشرق الأدنى، وقد ارتبط "سايكس" بعلاقات وثيقة مع عدد من الصهاينة أبرزهم الصهيوني البريطاني "موشى كاستر" الذي استطاع إقناع سايكس بطالب اليهود نفسه بقوله أن " كاستر" جعل منه صهيونياً.

وقامت الحكومة الفرنسية اثر ذلك بإرسال عالم يهودي يدعى"فيكتور جيوم ياس" إلى الولايات المتحدة ليؤكد لليهود هناك أن المستعمرات الصهيونية في فلسطين ستعطي حماية كاملة من قبل بريطانيا وفرنسا عند انتهاء الحرب، وبالتزامن مع جهود الصهاينة في الولايات المتحدة قام "جيمس مالكوم" وهو أرمني مناصر للصهيونية وأحد أصدقاء "سايكس" بإقناع الأخير إن جهود "براندیز" في أمريكا تسير نحو إقناع حكومة الولايات المتحدة للدخول في الحرب [34]، مما يؤكد على تضافر جهود الصهاينة نحو تحقيق هدفهم.

ويتولى "لويد جورج" رئاسة الحكومة البريطانية أواخر عام 1916م تغيرت الكثير من المعطيات للصهاينة؛ إذ يعتبر رئيس الوزراء الجديد أحد أنصار المعسكر الصهيوني، وصار الأمر على نحو حسن بالنسبة للصهاينة بتولي بلفور وزارة الخارجية في حكومة "لويد جورج"، فقد أصبح الالتزام البريطاني بنصرة الصهيونية أمراً مؤكداً؛ إذ كانت أعوام 1916 – 1917م حافلة بمجموعة من الاتصالات الدولية أبرزها تلك التي قامت بين "حاييم وايزمن" زعيم الحركة الصهيونية و "ناحوم سوكولوف" أحد أعضاء الهيئة التنفيذية الصهيونية في روسيا لتنسيق الجهود نحو حشد الرأي العام في روسيا نحو تأييد مطالب الصهيونية في فلسطين [35]، ومن جهته زاد "وايزمن" ضغوطه على الحكومة البريطانية رغم ظهور بعض الأصوات المعارضة من يهود بريطانيا خوفاً على حقوقهم ومنها فقدانهم للجنسية البريطانية بحجة حصولهم على وطن قومي [36].

وقد حدث في صيف عام 1917م تطورات أدت إلى إبراز الفكرة الصهيونية، حيث قامت حكومة كرنسكي في روسيا بوضع عدد من اليهود في وظائف حساسة في المجلس التشريعي الروسي، وكانت

بريطانيا ترغب عن طريق استرضاء اليهود باستمالة القادة اليهود الروس في أن يقوم يهود روسيا بالضغط على الحكومة من أجل استمرار روسيا في الحرب، رغم أن الصهاينة كانوا غير متعظين من خروج روسيا لأنهم أدركوا أن الحكومة القيصرية ما كانت لتوافق على تحقيق أماني الصهيونية، كما أن الانسحاب الروسي من شأنه أن يزيد من حدة الصراع بين بريطانيا وفرنسا في فلسطين وبذلك تزداد حاجة بريطانيا لتأييد الصهيونية [37].

وبعد أن دخلت أمريكا الحرب ركزت بريطانيا جهودها على الرأسماليين اليهود في الولايات المتحدة، واستغلت الضغوط الألمانية على تجار المجوهرات اليهود فيها لمساندة ألمانيا في الحرب، وذلك باستمالة اليهود في دول الوسط من خلال إبداء استعدادها للوقوف إلى جانب المطالب الصهيونية مستغلة في ذلك ما تحجج به الصهاينة أنفسهم في إن سيطرة اليهود على فلسطين سيقوي الوضع الاستراتيجي لبريطانيا في الشرق الأقصى، وقد أخذ بعض الانجليز الرسميين تلك الاعتبارات بشكل متزايد على جعل فلسطين قاعدة أمامية للاقتراب أكثر من قناة السويس، وإن المساعدة الصهيونية من شأنها أن تطوي ما ورد في اتفاقية (سايكس بيكو) من جعل فلسطين منطقة دولية، وتقربها أكثر من النفوذ البريطاني وقد مال الانجليز المسيحيون والبروتستانت الأمريكان إلى تلك القضية لاعتبارات دينية وعاطفية [38].

وقبل صدور تصريح بلفور كانت الصهيونية الأمريكية بزعامة "براندیز" على اتصال مباشر بالمباحثات التي يجريها "وايزمن" في لندن، وبدوره قدم "براندیز" ورقة عن تلك المباحثات إلى وزارة الخارجية الأمريكية في دلالة واضحة على التنسيق المستمر بين الأطراف الصهيونية في العالم الغربي، ولكي يضمن "براندیز" من ذلك عدم تأخر الولايات المتحدة في مساندة أي مشروع صهيوني تسفرعنه تلك المباحثات، وبالفعل توجت جهود "براندیز" بالنجاح من خلال اللقاء المشترك بين الرئيس "ويلسون" و "وايزمن" عند زيارة الأخير للولايات المتحدة في 15–5–1917م، فبعد هذا اللقاء أبرق "براندیز" إلى زعماء الحركة الصهيونية في بريطانيا يعلمهم بأنه قد أجرى مباحثات ناجحة مع كل من بلفور والرئيس ويلسون وتوصلت المباحثات إلى الآتي:–

1. الاعتراف بفلسطين كوطن قومي لليهود .
2. السماح لليهود في كل أرجاء العالم بالهجرة دون قيد إلى فلسطين .
3. أن يتمتع اليهود بجميع الحقوق في أماكن إقامتهم في فلسطين .
4. أن تمنح إحدى الشركات الصهيونية امتياز من أجل تطوير فلسطين .
5. الاعتراف باللغة العبرية كلغة رسمية لليهود في فلسطين [39].

وفي الثاني من نوفمبر من العام نفسه قدم وزير الخارجية البريطاني "جيمس آرثر بلفور" وعده لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين وذلك في رسالة تاريخية وجهّها إلى أحد أبرز الزعماء الصهاينة في بريطانيا "اللورد روتشيلد" تنص على ما يلي " أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم جلياً أنه لن يؤتي بعمل من شأنه أن يضر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير الصهيونية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق والوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى " [40].

وبهذا الوعد توجت جهود الصهيونية السياسية التي بذلت على مر عشرات السنوات في إيجاد وطن قومي بالحصول على وعد يتيح لهم تحقيق مطامعهم وتطلعاتهم، كما توجت بهذا الوعد جهود الساسة الانجليز المناصرين للصهيونية الذين وجدوا طموحاتهم في التطلعات السياسية للحركة الصهيونية بإيجاد موطئ قدم دائم في الشرق الأوسط، وتأميناً للمصالح البريطانية في التواصل مع مستعمراتها والسيطرة على قناة السويس.

الهوامـــــــــــــش

1. إسماعيل احمد ياغي، الجذور التاريخية للقضية الفلسطينية، الرياض، دار المريخ، 1983، ص 23.

–محمود شاكر، موسوعة تاريخ اليهود، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص 283.

2. محمود شاكر، مرجع سابق، ص ص 283 – 284 .
3. يوسف أيوب حداد، الصهيونية اليهودية، مجلة كنعان، فلسطين، مركز إحياء التراث العربي، أكتوبر 2003، العدد 15، ص 1.
4. إبراهيم سعد الدين عقل، العرب وإسرائيل جذور الصهيونية وواقع الصراع، القاهرة، دار الجمهورية للصحافة، 2003، ص ص 28 – 29 .
5. وزارة التربية والإرشاد القومي، فلسطين والاستعمار الصهيوني، المراكز الثقافية القومية، 30 – يناير 1970، ص 13.
6. إبراهيم يحي الشمالي، نقاط على الحروف في الصراع العربي الصهيوني، دمشق، دار الأدهم للترجمة والنشر، ط1، 1986، ص 42.
7. إسماعيل احمد ياغي، مرجع سابق، ص ص 37 ، 40.
8. عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي 1516–1922، الإسكندرية، دار المعارف الجامعية، 1992، ص 480.
9. حسن صبري الخولي، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، الإسكندرية، دار المعارف الجامعية، 1973، ص ص 20 ، 21.
10. عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص 482.
11. إسماعيل احمد ياغي، مرجع سابق، ص ص 43 ،44 .

– عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق ، ص 483.

12. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط7، 1979، ص ص 33 ، 34 .

13. وزارة الشباب، القضية الفلسطينية الحقيقة والمصير ، القاهرة، مطابع الأهرام التجارية، ط1، 1970، ص 35.

14. حسن صبري الخولي، مرجع نفسه، ص ص 66 ، 67 .

15. طاهر شاش، إستراتيجية إسرائيل الجديدة، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2008، ص 23.

16. عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص 484.

17. عبد الوهاب الكيالي، مرجع سابق، ص 35.

18. حسن صبري الخولي، مرجع سابق، ص 69.

19. إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص 46.

20. عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص ص 484 ، 485 .

21. حسن صبري الخولي، مرجع سابق، ص 80.

22. آلان ر. تايلور، مدخل إلى إسرائيل، تعريب شكري محمود نديم، بيروت، دار مكتبة الحياة، د.ت، ص 26.

23. حسن صبري الخولي، مرجع سابق، 82.

24. عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص ص 486 ،487. حسن صبري الخولي، مرجع سابق، ص82.

25. حسن صبري الخولي، مرجع سابق، ص 83.

26. إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص ص 50 ، 51 .

27. محمود شاكر، مرجع سابق، ص ص 339 ،340.

28. عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص ص 491 ، 492 .

29. آلان ر. تايلور، مرجع سابق، ص 33 .

30. عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص 497.

31. Reuben Fink , America and Palestine , The attitude of official America and the American people toward the Rebuilding of Palestine as afree and

Democratic Jewish commonwealth (Now York . Herald square press, inc., 1944) .p.130.

32. آلان ر.تايلور، مرجع سابق، ص 34.

33. محمد علي علوبه، فلسطين وجاراتها- أسباب ونتائج، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي، ط1، 1954، ص 88.

34. عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص 466.

35. Frank E.Manual . The realites of American – Palestine Relations (Washington , D. C. public Affairs press, 1949) . pp . 160 – 161 .

36. عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص 503.

37. عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق ، ص 506.

38. Fred I.khouri. The Arab – Israeli Dilemma. 2 and ed (Syracus university press.(New York, 1976.) P . 5 .

39. إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص 57.

40. Frank , op cit . pp. 164 – 166.

41. جون جلوب باشا، أزمة الشرق الأوسط، ترجمة وتقديم السيد يوسف نصر، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، 1933، ص 19.

42. إسماعيل أحمد ياغي، مرجع سابق، ص 57.

مجلة المختار للعلوم الإنسانية 15 (1): 141-170، 2011

Research Article Open Access

الفروق في أساليب الحياة دراسة مقارنة عبر ثقافية لعينة (ليبية وعراقية ومصرية) من أساتذة بعض كليات جامعة عمر المختار/ درنة

عبد الكريم عبيد الكبيسي[1]*

قسم علم النفس, كلية الاداب والعلوم، جامعة عمر المختار (درنة)

Doi: https://doi.org/10.54172/7r1qkk72

المستخلص : تم تحفيز هذه الدراسة من خلال سنوات من التفاعل والعمل اليومي مع مجموعة متنوعة من أعضاء هيئة التدريس في جامعة عمر المختار فرع درنة. لاحظ الباحث التجمع الاستثنائي لأساتذة متخصصين وذوي خبرة من مختلف البلدان. تعد هذه التنوعات، التي تشمل الجوانب الأكاديمية والثقافية والاجتماعية والنفسية، فرصة قيمة لدراسة وفهم سلوك الإنسان. من خلال استثمار هذا التنوع، يمكن للباحثين أن يسهموا في المجال النفسي وتعزيز التواصل والتفاعل الإيجابي داخل الجامعة. فهم الجوانب النفسية والعقلية والسلوكية للأفراد أمر بالغ الأهمية لتحقيق التميز في الأداء، ومع ذلك، في كثير من المؤسسات العلمية والإنتاجية يتم تجاهلها. يتم التركيز عادة على الجوانب المادية والأكاديمية، مع إهمال العنصر البشري. لذلك، يجب أن تشمل جودة التعليم والتطور العلمي الاهتمام بالجوانب الإنسانية والنفسية كأهداف أساسية.

الكلمات المفتاحية: سلوك الإنسان، التنوع، التفاعل الإيجابي

Cultural Comparative Study on Lifestyle Differences: A Sample of Libyan, Iraqi, and Egyptian Professors at Omar Al-Mukhtar University, Derna

Abdul Karim Obaid Al-Kubaisi
Psychology Department, Faculty of Arts and Sciences, Omar Al-Mukhtar University (Derna)

Abstract: This study was motivated by years of daily interaction and work with a diverse group of faculty members at Omar Al-Mukhtar University, Derna Branch. The researcher observed the exceptional gathering of highly knowledgeable and experienced professors from various countries. This diversity, encompassing academic, cultural, social, and psychological aspects, presents a valuable opportunity to study and understand human behavior. By investing in this diversity, researchers can contribute to the psychological field and enhance communication and positive interaction within the university. Understanding the psychological, mental, and behavioral aspects of individuals is crucial for achieving performance excellence, yet it is often overlooked in many scientific and productive institutions. The focus on material and academic aspects neglects the importance of the human element. Therefore, the quality of education and scientific development should encompass attention to human and psychological aspects as fundamental goals.

Keywords: human behavior, diversity, positive interaction

The Author(s) 2023. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدمة :

إنبثقت فكرة هذه الدراسة من خلال التعامل والتفاعل اليومي ولسنوات طويلة في مجال العمل الجامعي مع مجموعة كبيرة ومتنوعة من أعضاء هيئة التدريس في جامعة عمر المختار فرع درنة ، وكان من أبرز ما إسترعى إنتباه وإهتمام الباحث إجتماع هذه النخبة من الاساتذة والذين هم على درجة عالية من العلم والثقافة والخبرة . فبالإضافة الى التنوع العلمي ، نجد التنوع الثقافي والإجتماعي والنفسي والسلوكي لإعضاء هيئة التدريس بسبب تنوع جنسياتهم وبلدانهم وهوما يمثل حالة إستثنائية إيجابية إثرائية يمكن إستثمارها والإفادة منها في جوانب ومجالات كثيرة ، فكليات الجامعة تضم أساتذة من دول : ليبيا ، العراق ، مصر ، الأردن وغيرها من الدول العربية ، وأضيف اليها في السنوات الأخيرة جنسيات غير عربية كالهند والفلبين وفرنسا . وكنتيجة لهذا التنوع يجد الباحث نماذج من الشخصيات والسلوكيات والثقافات المختلفة، التي تعد فرصة ثمينة للباحث السيكولوجي وغيره من المتخصصين في العلوم السلوكية لإستثمارها وتوظيفها في دراسة وفهم السلوك الإنساني عامة وجوانبه النفسية والعقلية والشخصية خاصة . ومثلما يقال تمثل هذه الحالة أرض خصبة لإجراء المزيد من البحوث التي يمكن أن تتوصل الى نتائج علمية تشكل إضافات الى التراث السيكولوجي والمكتبة النفسية كما أنها من الممكن أن تلقي الضوء على جوانب إنسانية مهمة لهذه الفئة لإستثمارها في تفعيل التواصل والتفاعل الإيجابي والبناء من قبل أمانات وإدارات الجامعة .

إن فهم ومعرفة الجوانب النفسية والعقلية والسلوكية للأفراد العاملين والإهتمام بها يمثل أحد الركائز الأساسية للوصول الى جودة الأداء والإتقان والعطاء المتميز ، وبالرغم من أهمية وخطورة هذه الجوانب في بعض الأحيان , إلا أنها مهملة أو منسية ولا يلتفت اليها في كثير من المؤسسات العلمية والإنتاجية والجهات الخدمية في المجتمع ، فالتركيز دائما على الجوانب المادية والبنى التحتية أو الجوانب العلمية الأكاديمية ، وننسى الإنسان والجوانب الإنسانية والنفسية . ومن المعلوم أن جودة التعليم وتطوير المستوى العلمي يمثل اليوم أحد أهداف الجامعة المهمة والأساسية التي تسعى الى تحقيقها والوصول اليها .

أهمية دراسة أساليب الحياة :

لقد تم تعريف وتوضيح مصطلح أسلوب الحياة ليشير الى طريقة عامة للحياة والتفاعل أو هو منهج حياتي مرتبط بمجموعة من القيم المفضلة التي يختارها الفرد وتؤثر في سلوكة ومواقفه ونشاطه الإجتماعي . كما يؤثر أسلوب الحياة المفضل على توجهات الفرد وقد يساعد الفرد على تحقيق النجاح ،أو قد يكون سلبي فيعوق الفرد في تحقيق نجاحات أو إنجازات مهمة أو ضرورية له. وبصفة عامة يعد أسلوب الحياة في حد ذاته متغيراً قد يكون له إنعكاسات سلبية أو إيجابية على حياة الفرد ، فإتباع الفرد أساليب حياتية سوية او إيجابية في جميع مراحل عمره تكسبه القدرة على تفهم المواقف المختلفة وحل

الأزمات وتحقيق التوافق الاجتماعي مع مجتمعه وعدم التخوف من المرحلة التي يعيشها ، والإقبال على الحياة أكثر من الذي يتبع أساليب غير سوية أوسلبية للحياة. وفي هذا الجانب يؤكد العالم جنس Gennis أن أسلوب الحياة هو مجموعة من الممارسات الحياتية ، وهو مصطلح يرقى الى مستوى النظرية ويمكن أن يستخدم لأغراض مختلفة ويعتمد في تفسيره على العلوم السلوكية .

أهمية الدراسة :

إن الإهتمام بالجوانب العلمية والاكاديمية والمادية للأستاذ الجامعي يجب أن يرافقه إهتمام بالجوانب الانسانية والإجتماعية والنفسية للعاملين في الجامعة . والذي يمكن أن يكون أحد أسباب تحقيق جودة التعليم والنهوض بالمستوى العلمي والتربوي للجامعة، لأن الأستاذ الجامعي ومهما تنوعت شهاداته وزادت خبرته العلمية، تبقى سماته الشخصية وأسلوب حياته والقيم التي يعتنقها ويؤمن بها هي الموجهات والدوافع النفسية التي تحدد سلوكة وعطاءه وتفانيه في مجال عمله التعليمي والتربوي ،ومعرفة وفهم هذه السمات والدوافع والحاجات النفسية يحقق الكثير ، وهذا ما دعا الباحث للقيام بهذه الدراسة كخطوة في هذا الطريق ، وكإضافة لما سبقه من بحوث ودراسات في هذا الجانب المعرفي والعلمي ، والذي نعتقد أنه جدير بالبحث والدراسة .

لقد وجد الباحث أن أفضل استثمار لهذا التنوع الثقافي والحضاري لإعضاء هيئة التدريس هو القيام بدراسة مقارنة عبر ثقافية ، وعلى حد علم الباحث لم تجر دراسات سابقة في كليات فرع درنة ضمن هذا النوع من الدراسات.

أهداف الدراسة :

1. التعرف على أساليب الحياة المفضلة لدى أساتذة الجامعة .
2. التعرف على الفروق في أساليب الحياة المفضلة بين أساتذة الجامعة تبعا لمتغير البلد الذي ينتمون اليه (ليبيا ، العر اق ، مصر) .

أساليب الحياة : style of life

الإسلوب في اللغة يقال له : الطريق والوجهة والمذهب ويجمع على أساليب وقد سلك أسلوبه ، طريقته وكلامه (إبن منظور ، دت ، ص 473) . وان شخصية الفرد تعني طراز سلوكه في الحياة ، او إسلوبه الذي ينم في الوقت نفسه عن عقله وإختياره فالأسلوب هو الشخص والشخصية .

وقد ورد في القرآن الكريم السبيل والسبل لتشير الى الإسلوب والاساليب الحياتية (قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) (سورة الإسراء آية 84) (ويوم يعض الظالم على يديه

يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) (سورة الفرقان ، آية 27) (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد) (سورة المؤمن ، آية 28) (واتبع سبيل من أناب الي) (سورة لقمان ، آية 15)

وجاء في الحديث النبوي (إعمل لدنياك بقدر مقامك فيها ، وإعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها ، وإعمل لله بقدر حاجتك اليه ، وإعمل للنار بقدر صبرك عليها) . ويذكر الغزالي : ان علم الاولين والآخرين كان مندرجا في هذا الحديث ، الذي اختاره هو وعمل به وخلى ما سواه (الغزالي ، د ت ، ص 451) .

وفي هذا المجال يقول الامام علي (رض) (إعمل لدنياك كأنك تعيش ابداً وإعمل لآخرتك كأنك تموت غدا) .

ويرى بعض الباحثين أن مفهوم أساليب الحياة ورد في أغلب النسخ التوراتية الانكليزية التي اشارت الى العناية الآلهية للرب وهي التي تنظم جميع أفعال الأنسان وطرق وأساليب حياته (Murray ,1961,p:202) .

ولقد عدت العرب أساليب الحياة التي تتمثل بالإقدام والكرم والحلم من أهم مقومات الشخصية المكتملة وجعلوا لكل منها أحد رجالاتهم رمزا لها .

وفي القرن العشرين يعد (ادلر) من أول علماء النفس ، الذين بحثوا في هذا الموضوع ، فقد درس هذه الاساليب وبرمجها علميا وحدد مفاهيمها ، إذ جعلها قابلة للدراسة والبحث (Boyuton , 1989 , p :647) .

ويمكن القول ان مفهوم أساليب الحياة يتميز كثيرا او قليلا عن بعض المفاهيم النفسية الأخرى ، فهو يختلف عن الصفة Qualite والخاصية Characteristic لانه أعم وأشمل منها ، كما انه يمكن ان يجمع بينهما ، كما ان الصفة تستخدم مع الكائنات الحية وغير الحية ، في حين يقتصر استخدام أسلوب الحياة على الأنسان فقط .

وبالرغم من التشابه بين السمة Trait واسلوب الحياة ، الا انهما يختلفان في جانب أساسي وهو ما حدده ايزنك Eysanck بأن السمة مجموعة من السمات المترابطة وهو ناتج الجمع بين سمتين او أكثر .

كما يختلف أسلوب الحياة عن الأتجاه Attitude حيث ان الأتجاه يختلف في عموميته من التخصص الشديد الي العمومية النسبية، في حين يتصف أسلوب الحياة بالعمومية الدائمة ، كما ان الاتجاه يتضمن عادة تقييما (بالقبول او الرفض) للموضوع الذي يتجه اليه بينما أسلوب الحياة يقوم بتوجيه السلوك نحو التكيف لتحقيق التفوق دون أن يكون له موضوع اجتماعي (هول ولندزي ، 1978 ، ص 348) .

ويختلف أيضا اسلوب الحياة عن النمط Type وذلك ان مفهوم النمط أقدم تاريخيا من مفهوم أساليب الحياة،فالنمط يرجع الى هيبو قراط (Hippocrates) (Eysenck 1970 , p:71)

أما اسلوب الحياة فهو مفهوم حديث نسبيا في علم النفس ، كما أن مفهوم النمط وكما جاء في نظرية هيبو قراط ونظرية كرتشمر (Kretchmer) ونظرية شيلدون (Sheldon) يربط ما بين الصفات الجسمية ونوع الشخصية او المزاج التي ترجع الى عوامل وراثية (Atkinson , 1990 ,p:598) .

إن اسلوب الحياة يرتبط بالدرجة الأساس بعملية التنشئة الإجتماعية والعوامل الثقافية والحضارية المحيطة بالفرد والتي قد تؤثر على أسلوب حياته بدرجة كبيرة وتتمثل في الجماعات التي ينتمي إليها الفرد خلال مراحل عمره مثل جماعة الأسرة والأصدقاء والجماعات المرجعية والتي من خلالها يكتسب الفرد العديد من أنماط سلوكه ومعارفه وعاداته وإتجاهاته والتي ربما تكون سلبية أو إيجابية ، فيتشكل مسار حياته وأسلوبه على هذا الأساس، وهذه المؤثرات جميعا قد أخذت معالمها من ثقافة المجتمع وأصبحت لها خصوصيات تتميز بها عن ثقافات المجتمعات الأخرى ، فالمدخلات الثقافية وما تتضمنه من نماذج قيمية هي التي تؤثر بدرجة كبيرة فى توجيه أسلوب حياة الفرد وتشكيلها لأساليب حياته والتي تؤثر على تفكيره وعلى إتباعه أو تفضيله لواحد أو أكثر من أساليب الحياة اليومية .ويشير فرانس بواس في هذا المجال الى أن كل مجتمع يبتدع طرقا وأساليبا للحياة ، و كل واحد من الأساليب يمثل اسلوبا ، وكما يشير (فرانس بواس) ان كل مجتمع يبتدع طرقا وأساليبا للحياة وكل منها يمثل أسلوبا متميزا ومتفردا في حياة الأفراد للتوافق مع ظروفهم الحياتية سواء في الماضي والحاضر ، وعلى هذا يجب الإنتباه الى أن المعايير الأخلاقية والسياسية والفنية وغيرها تؤثر في أساليب الحياة وليس فقط حالة التقدم التكنولوجي للمجتمع (الجيلاني ، 2009 ، ص 11) .

كما تتمثل أساليب الحياة في المكون المعرفي للفرد والذي يشير إلى العمليات العقلية التي ترتبط بنمط التفكير عند الفرد ، بتأثير القيم والمعتقدات التي اكتسبها من خبراته السابقة ، وكذلك أيضا المكون الوجداني الذي يشير إلى قوة الانفعالات التي ترتبط بوجدان الإنسان حيث يتضمن مشاعر وأحاسيس إيجابية وسلبية وهذه المشاعر قد تتطابق مع المعرفة أو قد تختلف وذلك على حسب أسلوب حياة الفرد، والمكون السلوكي والذي يشير إلى الخطوات الإجرائية التي ترتبط بتصرفات الإنسان لذلك فهو يعتبر المحصلة النهائية والترجمة العملية لتفكير الإنسان وتفضيلاته القيمية التي تحدد هذا المكون .

سيكلوجية اساليب الحياة :

لقد قدم علماء النفس العديد من التفسيرات التي توضح الجوانب النفسية للإنسان ، ان هذه التفسيرات يمكن ان تلقي الضوء على مفهوم اساليب الحياة وتوضح بعض من جوانبه :

سيجموند فرويد : Sigmaund Freud (1939 . 1856)

إعتقد فرويد بأن نوع صفة الشخصية المميزة للفرد تتكون في الطفولة من طبيعة التعامل او التفاعل بين الطفل ووالديه ، وان هذه الخبرات الطفولية مهمة الى حد انه اعتقد بأن شخصية الكبير قد تقولبت وتبلورت بشكل صلد عندما وصل الطفل الخامسة من العمر، وان هذه السمات الشخصية التي اشارااليها فرويد هي التي تمثل اسلوب الحياة الذي يميزنا او يحددنا كأفراد ، والتي تتبلور خلال مراحل النمو النفسي الجنسي Psych sexual development وبخاصة المراحل ما قبل التناسلية ، وهي المراحل الثلاث الاولى وهي المرحلة الفمية Oral stage والمرحلة الشرجية Anal stage والمرحلة القضيبية Phallic stage .

وقد ميز فرويد بين نوعين من الشخصيات التي تتولد نتيجة الثبات Fixation عند المرحلة الفمية وهما الشخصية الفمية المندمجة (Oral – receptive) وتتولد من المرحلة المبكرة الماصة للرضيع ، ويمارس الاشخاص الكبار الذين حدث لهم تثبيت عند هذا النوع من المرحلة الفمية أساليب حياتيه يكون فيها الفرد ودودا متسامحا ، متفائلا ، تأثره بالاحباط ضعيف .

أما النوع الثاني فهو الفمي العدائي (Oral . aggressive) وهو الرضيع الذي جرى له احباط شديد في اشباع اللذة الفمية ، ويتميز الاشخاص الكبار الذي حدث لهم تثبيت في هذا النوع من المرحلة الفمية ، باساليب حياتيه تتسم بالجدل والخلاف والتهكم على الاشياء والاشخاص في العالم (p , 1975 Fantino & Reynolds , : 449) .

وهناك أيضا نوعان من الشخصية الشرجية ، هما نمط الشخصية الشرجية العدائية والتي تمثل عند (فرويد) اساس كل اشكال السلوك العدائي والسادي عند الكبار ، حيث يتسم اسلوب الفرد فيها بالمغالاة في السلبية والعداء والقسوة والتخريب ونوبات الغضب ، اما النوع الثاني فهو الشخصية الشرجية المتحفظة والتي يتسم اسلوب الفرد فيها بالعناد والبخل ، وربما يكون جافا متصلبا وانيقا الى درجة الهلوسة .

وعلى هذا الاساس يتم تطوير الشخصية استجابة لاربعة مصادر رئيسية للتوتر هي : 1– عملية النمو الفسيولوجي ، 2 – الاحباطات ، 3 – الصراعات ، 4 – التهديدات . وكنتيجة مباشرة لتزايد التوتر الناتج من هذه المصادر ، يجد الشخص نفسه ملزما بتعلم اساليب حياتيه جديدة لخفض التوتر ، وهذا التعلم هوالمقصود بتطور الشخصية .

وبهذا فانه لايمكن ان تتحقق الشخصية السلمية ما لم يتغلب الفرد على الثبات (Fixation) عند احد هذه المراحل الطفولية ، ويصل الى مرحلة النمو التناسلي الجنسي وفي هذا الوقت يصبح الهو Id ، والأنا Ego والأنا العليا Super ego في إنسجام ويغدو الحب ممكنا على أسس ناضجة . وهنا ينفرد فرويد في تفسيره ، حيث يبالغ في أثر فترة الطفولة الأولى في تحديد أو تطوير خصائص سلوك

الفرد و نوع صفة الشخصية المميزة للفرد ، وهذا لانجده حتى في تفسيرات العلماء الذين ينتمون الى التحليل النفسي .

الفرد إدلر : (1870 ــ 1937) Alfred Adler

لقد اطلق (ادلر) على أسلوبه الجديد أسم علم النفس الفردي والذي يشير الى التركيز على كل شخصية ، منكرا عالمية الدوافع البيولوجية والأهداف التي نسبها فرويد الى أفراد الجنس البشري، فكل فرد في رأي ادلر هو أساسا مخلوقا إجتماعيا وليس بيولوجيا ، وشخصياتنا صاغتها بيئتنا الاجتماعية الفردية والتفاعلات ، ولم تصغها حاجاتنا ولا محاولاتنا المستمرة لإرضائها (شلتز, 1983 ، ص 67) .

كما أن هناك هدفا أساسيا للشخصية الانسانية هو الرغبة في التفوق والكمال The desire to be superior ، إنه يمثل القوة الدافعة او المحركة لأغلب النشاطات الأنسانية ، وان هناك طرقا عديدة يسلكها الناس لتحقيق هذا التفوق ، أي أن لكل فرد أسلوبه الخاص الذي يسلكه لبلوغ هذا الهدف ، ومن هنا أصبح لكل شخص إسلوب حياته المميز (Zimbardo ,1980 , p : 309) .

إن إسلوب الحياة حسب ادلر ، هو مبدأ النظام الذي تمارس بمقتضاه شخصية الفرد وظائفها ، انه الكل الذي يأمر الأجزاء ، وانه الإطار الذي يسترشد به في السلوك اللاحق ، وبعبارة أخرى فان سلوك الشخص بأسره ينبع من أسلوب حياته ، فهو يدرك ويتعلم ويحتفظ بما يتفق واسلوب حياته ويتجاهل كل ما عداه . ويرى ادلر ان اسلوب الحياة يتشكل خلال سنوات الطفولة الخمس الاولى ، وان الطفل يكتسبه من خلال تعامله مع والديه ، وانه يتبلور بشكل ثابت في نهاية السنة الخامسة او السادسة (صالح ، 1988 ، ص 55) . الا انه أصر على ان اسلوب حياتنا غير محدد لنا او محتم علينا ، فنحن أحرار لأن نختار ونبني أنفسنا ،حيث أوضح في وقت لاحق مفهوم آخر وهو (النفس المبدعة) ، وبهذا فان ادلر يؤمن بوجود الارادة للفرد التي تسمح لكل منا ان يبدع اسلوب حياته الاكثر ملائمة من القابليات والتجارب التي اعطتنا اياها الوراثة والبيئة.

إن إسلوب الحياة عند ادلر هو تعبير عن مشاعر النقص والتعويض التي يشعر بها الفرد،وسواء كان هذا الشعور حقيقي او متوهم , كمثل الاعتقاد بأنه اقل فعالية من الناس المحيطين به مما ينعكس هذا الاعتقاد على معظم تعامله في الحياة (فونتانا ، 1989، ص 78). والذي يشير اليه كرد فعل يمثل كفاحا قويا نحو التفوق (دونسيل ، 1986 ، ص 244) .

كما اعطى ادلر أهمية كبيرة لمشاكل الحياة التي يجب أن يحلها كل فرد وجمع هذه المشاكل في ثلاثة أصناف : مشاكل تتضمن سلوكا نحو الآخرين ، ومشاكل المهنة ومشاكل الحب ، وإفترض وجود أربعة أساليب أساسية للحياة يتبناها الناس للتعامل مع هذه المشاكل :

الأسلوب الأول :

السيطرة او التحكم مع مستوى قليل ان وجد من الحس والاهتمام الاجتماعي فالفرد هنا نشط ولكن بطريقة غير اجتماعية ، والاكثر ايذائية (Violent) ضمن هذا الاسلوب يهاجم الاخرين ويصبح مؤذيا وجانحا وطاغية ، اما الاقل قسوة يصبح مدمنا على الكحول والمخدرات ويلجأ الى الانتحار .

الأسلوب الثاني :

النوع الآخذ The getting type ويرى ادلر ان هذا النوع هو الاكثر شيوعا ، حيث يتوقع الفرد ان يحصل على كل شيء من الآخرين وهكذا يصبح معتمدا عليهم ، فهو يريد الحصول على كل شيء ولا يساهم بأي شيء.

الأسلوب الثالث :

النوع المتجنب The avoiding type والفرد هنا لا يقوم بأي محاولة لمواجهة ومكافحة مشاكل الحياة كما يتجنب المشاكل والخطر او الخوف من الفشل والاخفاق .

الأسلوب الرابع :

النوع السليم (المفيد اجتماعيا) وهذا النوع قادر على التعاون مع الاخرين ويعمل بما تقتضيه حاجاتهم ، ومثل هذا الشخص يتعامل مع مشاكل الحياة ضمن اطار متكامل النمو للاهتمامات الاجتماعية ، فهو يتوجه لتحقيق أهداف تتفق والمصلحة الاجتماعية .

ولقد أصبح مفهوم الإهتمام الاجتماعي يمثل القسم الأعظم من نظام ادلر فقد اعتقد ان الإنسجام مع الآخرين هو أول مهمة نواجهها في الحياة وان تكيفنا الاجتماعي اللاحق . جزء من أسلوب حياتنا . يؤثر ويلوّن طريقنا في التعامل مع كل مشاكل حياتنا اللاحقة .

كارين هورني : (1885 ــ 1952) Karen Horney

قدمت (هورني) عددا من المفاهيم التي حاولت من خلالها إيجاد تفسيرات خاصة مبتعدة بها كثيرا أو قليلا عن مفاهيم فرويد الأساسية والتي تتلمذت في مدرسته .

ومن المفاهيم الرئيسة عند هورني هو مفهوم القلق الاساسي Basic anxiety وهو المفهوم الرئيسي في نظريتها في الشخصية وعرفته بأنه (شعور بالوحدة والعجز ينمو بشكل خفي ويتزايد وينتشر في عالم عدائي) ، وهو الأساس الذي يبنى عليه العصاب اللاحق .

وتؤكد هورني أن الاعتقاد بوجود صراع أساسي داخل النفس البشرية هو إعتقاد قديم ويلعب دورا حيويا في مختلف الأديان والفلسفات ، حيث أن قوى النور والظلام أو الحكمة والشيطان ، أو الخير والشر تمثل بعض الأساليب التي عبر عنها بهذا الأسلوب .

وان الصراع الأساسي هو في الحقيقة صراع بين مواقف او أساليب ثلاثة هي (التحرك نحو) و (التحرك ضد) و (التحرك بعيدا) عن الناس (هورني ، 1989 ، ص 15).وفحوى هذه الأساليب هي:

الأسلوب الأول :

إسلوب التحرك نحو الناس يمثله الفرد الموائم المطاوع Compliant والذي يظهر حاجة واضحة للحنو والاستحسان وحاجة ماسة الى (شريك) أي صديق او حبيب او زوج او زوجة لتحقيق كل آمال الحياة ، ويتصف أيضا بميله الى إخضاع نفسه ، فهو يسلّم أن كل فرد يتفوق عليه ، فالجميع اكثر جاذبية منه وألمع ذكاء وأفضل تعليما وأكثر إستحقاقا منه ، كما يتميز باعتماده الشامل على الآخرين ، وتتمثل هذه في ميله اللاواعي نحو تقييم نفسه من خلال مايضنه الآخرون عنه ، فيعلو ويهبط تقييمه لذاته تبعا لإستحسانهم او لإستهجانهم ولحنوهم او إنتفائه .

الأسلوب الثاني :

أما الأسلوب الثاني للصراع الأساس هو التحرك ضد الناس حيث يتسم الفرد في هذا الاسلوب بالنزعات العدوانية ، والسعي المتواصل وراء المصلحة الذاتية ، والسيطرة على الاخرين واستخدامهم لمنفعته ويحاول ان ينأى بنفسه عن أية هيمنة مباشرة لأنها تقوده قريبا جدا من الاحتكاك المباشر مع الاخرين ، كما تتمثل مشاعره عن نفسه بكونه قويا واميناً وواقعيا ، وهذا بمنظاره الخاص .

الأسلوب الثالث :

اما الاسلوب الثالث للصراع الأساس ، هو الحاجة الى العزلة التي تتمثل في (التحرك بعيدا عن الناس) والتي تتمثل في أسلوب الإغتراب الشامل عن الناس ، والغغتراب عن الذات ، أي فقدان الحس بالنسبة للاشياء المحيطة به ، ويتصف ايضا بعدم الارتباط عاطفيا مع الآخرين بأية طريقة كانت ، كما تظهر لديه حاجة ملحة للاختلاء بنفسه وانه يميل الى احاطة نفسه بستار من الكتمان وغالبا ما يشعر بالاستعلاء وذلك في احساسه بأنه فريد من نوعه ، وهذا مظهر مباشر من مظاهر رغبة في الاحساس والانقطاع والتميز عن الآخرين .

وترى هورناي ان الشخص السليم لا يحصر نفسه بواحد من هذه الأساليب إذ يمكنه ان ينتقل من اسلوب الى آخر تبعا لما يناسب ذلك السلوك (هورني ، 1988 ، ص 36 – 67) .

أريك فروم : (1900 ــ 1980) Erich Fromm

يفترض (فروم) ان هناك أسلوبين أساسيين يمكننا أن نسلكهما في محاولاتنا لإيجاد معنى وإنتماء في الحياة ، وهما تحقيق الحرية ، والآخر هو التخلي عن الحرية ، كما قسم أساليب التوجهات القيمية أو السمات الخلقية الى صنفين هما : المنتج وغير المنتج ، فالاساليب غير المنتجة تشمل سمات الآخذين والمستغلين والكانزين والتجاريين ، فالآخذ Receptive هو الذي يعتقد أن كل الأشياء الجيدة تكون خارج نفسه وعليه أن يأخذها من الآخرين وهكذا لبقية الأساليب غير المنتجة . أما بالنسبة لصنف المنتج فهو الذي يعتبر الشيء الجيدموجود داخل نفسه وفي تحقيقه لقواه وإمكاناته والذي يمثل الهدف النهائي في النمو الإنساني .

كما يوضح (فروم) أساليب الحياة بتفصيل اكبر وضمن مفهومي التملك والكينونة الذي عرضه في كتابه (نتملك أو نكون) To Have Or To Be ، وقد توصل الى النتائج الآتية :

1 . التملك والكينونة ، أسلوبان أساسيان لوجود نوعين مختلفين للتوجه الإنساني نحو الذات والعالم ، صنفين مختلفين في بناء الشخصية ، تحدد غلبة أحدهما ، أفكار الشخص ومشاعره وتصرفاته .

2 . في أسلوب الحياة التملكي تكون علاقتي بالعالم علاقة ملكية وحيازة ، علاقة أريد بها أن يكون كل شخص وكل شيء ملكا لي ، بما في ذلك ذاتي نفسها .

3 . أما أسلوب الكينونة يتضمن شكلين هما : الحيوية والإرتباط بروابط حقيقة أصيلة بالعالم ، والشكل الآخر هو نقيض المظهر ويعني الجوهر الصادق الحقيقي للشخص او للشئ ، كنقيض للمظهر الخادع (فروم ، 1989 ، ص 43 . 44) .

السلوكية :

بالرغم من أن غالبية علماء المدرسة السلوكية لم يلتفتوا الى بعض الأطر النظرية العامة ، والتي يعدونها من المسلمات السلوكية وأنها أمرا مفروغا منه ، وحول موضوع أساليب الحياة نجد بعض الإشارات للمنظور السلوكي السكنري الذي يؤكد أن الشخصية الإنسانية قائمة على أسس مبادئ التعلم ولأن كل واحد منا يخضع الى ظروف أو شروط بيئية مختلفة فإن كل واحد منا هو فرد متفرد ، وبما أن كل شخص له ماض شرطي مختلف فإن كل واحد منا تعلم أساليب سلوكية مختلفة من أنواع مختلفة من الإستثارات التي تعرض لها في تاريخه الشخصي ، وكذلك من خلال الإختلافات في نوع وكم التعزيزات البيئية التي تعرض لها خلال سنوات حياته (Zimbardo , 1980 , p : 313) .

الجشطلت :

يؤكد علماء النفس الجشطلت ، أن إدراك الفرد للموقف أي الطريقة التي يدرك بها الأحداث والأشياء التي تحيط به ، هي التي تحدد الكيفية التي يتصرف بها وبالتالي تحدد اسلوب حياته ، ولقد أوضح (ليفين Lewin) أن التصورات النفسية للعالم والتي اشار اليها بحيز الحياة Life Space تتألف من حاجات الفرد وإمكاناته المتاحة للفعل على نحو ما يدركها . ولفهم سلوك شخص ما في أية لحظة يجب إعادة بناء حيز الحياة ووضعه في تلك اللحظة ، أي علينا ان نفهم القوى السيكولوجية التي تعمل حينذاك (لازاروس ، 1981 ، ص 197) .

شارلس مورس : (1903 ــ 1979) Charles W Morris

لقد أنهى مورس دراساته وأبحاثه الميدانية للقيم الإنسانية وذلك ببلورتها عل شكل أساليب حياتية مختلفة يمكن ان يفضلها الفرد دون غيرها من الأساليب ، والتي ضمَنها في كتابيه :

أساليب الحياة Paths of life والذي نشره عام 1942 و الكتاب الآخر أنماط القيم الإنسانية Varieties of human value والذي نشره عام 1956 ، والذي عرض فيه نتائج دراسته على عينات مختلفة ومتنوعة من أنحاء متعددة في العالم .

إن أساليب الحياة التي جمعها مورس بلغت (13) أسلوبا ، يتضمن كل أسلوب منها محتوى قيميا يختلف عن الآخر ، وعلى هذا الأساس فانه يمكن عدها على أنها أداة لدراسة القيم المفضلة لدى الفرد والتي يمكن الأعتماد عليها في توقع السلوك العام للفرد ، كما يمكن أن تعطينا مؤشرا عن المحصلة القيمية العامة لمجموعة انسانية ما ، او لثقافة ما (Morres , 1956 , p :1-4) .

ومن أجل أن تتوضح بشكل أفضل دراسة وجمع المعلومات عن القيم الإنسانية ، يميز مورس بين ثلاث طرائق يمكن من خلالها إستخدام القيمة Value ، وهي كالآتي :

اولا :الأستخدام الأول لمصطلح القيم يشير الى ميل أوتفضيل Tendencies of dispositions للموجودات الحياتية المختلفة وذلك بتفضيل شيء منها دون الآخر وإستخدام القيمة هنا يمثل السلوك التفضيلي الحقيقي نحو موضوع ، والتي يمكن ان يطلق عليها هنا القيم الإجرائية Operative values .

ثانيا : الإستخدام الثاني لمصطلح القيم ، غالبا ما يقتصر على حالات السلوك التفضيلي لنتائج التوقعات المرتقبة من هذا السلوك Anticipation وهي تتضمن تفضيلا رمزيا لموضوع معين.

ثالثا : الإستخدام الثالث لمصطلح القيم فإنه يرتبط بما هو مفضل أومرغوب عند الفرد of Preferable desirable ، بغض النظر عما إذا كان مفضلا في حقيقته ، فالتأكيد هنا على خصائص

الموضوع . ويتضح من ذلك أن هذه الإستخدامات تشترك في السلوك التفضيلي لأشياء معينه ، وهذا يقودنا الى أن نظرية القيم يمكن ان تكون هي علم السلوك التفضيلي والتي هي جزء من علم السلوك .

كما أن هذه القيم تتأثر بأربعة محددات هي : البيئة الطبيعية والإجتماعية والبيولوجية والنفسية ، وان تأثيرات هذه المحددات غير متساوية ، وفي الوقت نفسه يمكن أن تعد هذه القيم في حد ذاتها محددات للسلوك . لهذا نجد أن أساليب الحياة التي يفضلها أفراد مجتمع معين هي ذاتها الأساليب المتبعة والموافق عليها في الثقافة التي ينتمي اليها الأفراد ، فالأفراد الذين ينتمون، الى مجتمعات مختلفة وجماعات إقتصادية مختلفة يختلفون في أساليب حياتهم (Morres , 1956 ,p:13-40)

على العموم فإن مورس قدم تفسيرات مهمة لمفهوم أساليب الحياة هي في ذاتها نتائج لسلسلة من البحوث الميدانية الواسعة التي شملت عينات مختلفة واسعة ومن أنحاء العالم المختلفة ومن ثقافات وأديان ومستويات إقتصادية وإجتماعية متنوعة ، كما أنه ربط الأساليب الحياتية بالتوجهات القيمية للأفراد وان هذه التوجهات تتحدد بعدد من المحددات ، كما أوضح أن التقاليد الدينية في مجتمع معين يمكن أن تحدد أساليب الحياة المتبعة لأفراده . وعليه فإن مجمل تفسيراته ونتائج بحوثه ، وجدنا أنها تتسق أكثر من غيرها مع توجهات البحث الحالي ، مما جعل الباحث يستند على الأساس النظري الذي قدمه مورس في تفسير النتائج ويستخدم مقياسه الذي قام بإعداده إعتمادا على المنطلقات النظرية التي توصل اليها .

إجراءات البحث :

أداة الدراسة :

لغرض التعرف على أساليب الحياة لدى عينة البحث ، فضّل الباحث استخدام مقياس أساليب الحياة التي طورها جارلس مورس Morris . G والذي يتألف من (13) أسلوبا محتملا للحياة ، وقد يتبع الفرد أكثر من أسلوب لكن هناك المفضل أوالسائد من بين الأساليب الأخرى . فالفرد قد يحب أسلوبا أو أكثر منها ويكره أسلوبا أو اكثر منها بدرجات متفاوته .

إن هذا المقياس هو نوع من المقاييس التي تختلف في مضمونها وشكلها عن المقاييس النفسية الشائعة وهي مقاييس الفقرة أو العبارة المحدودة وبدائل الاجابة عنها ، والتي استخدمت بصورة كبيرة جدا ، في حين أن الأنواع أو الأشكال الأخرى من المقاييس والاختبارات ظل استخدامها محدودا جدا ولم تتطور كثيرا ومنها مقياس أساليب الحياة الذي فضل الباحث استخدامه في هذا البحث ، والذي تضمن أساليب حياتية محتملة كل أسلوب مؤلف من مجموعة أفكارتمثل نماذج سلوكية وتوجهات حياتية منسجمة مع بعضها ، ويحدد الفرد درجة التفضيل لها . كما أن المنطق النظري الذي أعتمد في بناء هذا المقياس ، وهو إستخدام عينات متنوعة ومن حضارات وثقافات إنسانية مختلفة ، ينسجم تماما مع توجه البحث الحالي الذي يدرس الفروق في الجوانب السيكولوجية عند عينات مختلفة ثقافيا .

خصائص أداة الدراسة :

حصل الباحث على نسخة معربة من المقياس في دراسة الهيتي (الهيتي ، 1993) ، وقرر الباحث إعادة تعريب المقياس طلبا في المزيد من الدقة ، كما أن بعض الفقرات غير واضحة المعنى أوغير مفهومة تماما ، وبعد ذلك تم عرض التعريب الأول والثاني على اساتذة في اللغتين العربية والانكليزية ، وتم التأكيد أنهما متطابقان في المضمون والمعنى وان الفروق بينهما بسيطة ، وبعد أن اطمأن الباحث الى لغة فقرات المقياس . تم عرضه على مجموعة من اساتذة علم النفس والتربية لإبداء ملاحظاتهم وإجراء تعديلاتهم (صدق المحكمين) ، وقد اجريت تعديلات بسيطة ، ولمزيد من الإطمئنان استخرج الباحث ثبات المقياس بطريقة اعادة الاختبار ، باستخدام أسلوب بيرسون ولكل أسلوب بشكل مستقل ، لان هذا المقياس ليس فيه درجة كلية مما يجعل حساب الثبات غير ممكن بطريقة التجزئة النصفية ، وقد تراوحت معدلات الثبات لأساليب المقياس الثلاثة عشر بين (0.58 و0.82) ، وتعد هذه المعدلات مرتفعة لانها أستخرجت من حساب فقرة واحدة أي لكل أسلوب وبصورة منفصلة عن الأساليب الأخرى . ومن المعلوم أن درجة الثبات تتناسب مع عدد فقرات المقياس حيث تزداد معدلات الثبات ، كلما كان عدد الفقرات أكبر وفي حالة ثبوت جميع المتغيرات الأخرى (Nunnally ,1978 ,p: 201) . إن استخدام هذا المقياس في عدة دراسات ، والنتائج التي تم التوصل اليها من خلال هذه الدراسات وعلى عينات متنوعة دوليا وحضاريا كدراسة مورس (Morris , 1956) وكذلك دراسة بروثرو (Prothro , 1985) على عينات عربية ، ودراسة الهيتي (الهيتي ، 1993) ، والدراسة الحالية ، ودراسات أخرى جميعها مؤشرات على صدق المقياس سواء من حيث الصدق الظاهري أو من حيث صدق البناء والثبات . ومن جانب آ خر تتميز المقاييس المعربة وكما يرى (بدر الأنصاري) بميزتين أساسيتين هما : أن ترجمة المقياس تتيح للباحث أن يبدأ من حيث إنتهى الآخرون ، والميزة الثانية في المقاييس المعربة هي إمكانية استخدامها لاجراء المقارنات بين عينات الحضارات المختلفة، إذ يستحيل عقد مثل هذه المقارنات ما لم يكن المقياس المستخدم واحدا (المنصوري ، 2008 ، ص 8) .

أما بالنسبة لطريق تصحيح المقياس فقد وضع مقياس لهذا التفاوت بين الدرجة (7) الذي تمثل أقصى درجات الحب لذلك الأسلوب وبين الدرجة (1) التي تمثل أقصى درجات الكره لإسلوب آخر ويتدرج بين هاتين الدرجتين ، درجات التفضيل الأخرى ، وكما يأتي :

(7) أفضله كثيرا
(6) أفضله
(5) أفضله قليلا
(4) أقف محايدا
(3)لا أفضله قليلا
(2) لا أفضله
(1) لا أفضله كثيرا

عينة البحث :

تم اختيار عينة عشوائية من اساتذة كليات الأداب والعلوم والعمارة والفنون والتربية في جامعة عمر المختار فرع درنة وبلغت هذه العينة (98) استاذا جامعيا يحملون شهادة الدكتوراة والماجستير وفي تخصصات علمية وإنسانية مختلفة ولكلا الجنسين ويتوزعون على ثلاث بلدان او جنسيات هي : (ليبيا ، العراق ،ومصر) وكما موزعة في جدول (1) :

جدول (1)

توزيع أفراد عينة البحث حسب بلدانهم

الاساتذة	الذكور	الإناث	المجموع
الليبيون	32	9	41
العراقيون	23	3	26
المصريون	29	2	31
المجموع	84	14	98

بعد أن تم تحديد وإختيار عينة البحث ، قام الباحث بإعداد إستمارة البحث التي تتضمن مقياس أساليب الحياة , وصفحة التعليمات التي تتضمن الهدف من الدراسة وطريقة الاجابة ومعلومات عامة لأغراض البحث ، والتي تم تطبيقها على عينة البحث خلال العام الدراسي (2009 . 2010)، والملحق (1) يوضح صورة إستمارة البحث التي وزعت على عينة البحث .

نتائج البحث ومناقشتها:

لتحقيق اهداف الدراسة الحالية أستخدم الباحث الوسائل الإحصائية المتوفرة في الحقيبة الإحصائية (spss) الطبعة (18) لإستخراج جميع نتائج البحث الحالي ، والتي ظهرت على النحو الآتي :

أولا : التعرف على أساليب الحياة التي يفضلها أساتذة الجامعة :

لغرض تحقيق هدف البحث الأول وهو : (التعرف على أساليب الحياة التي يفضلها أساتذة الجامعة وبصورة عامة ذكور وإناث) ، تم حساب المتوسط والانحراف المعياري لكل أسلوب من أساليب الحياة البالغة (13) أسلوبا ولجميع أفراد العينة البالغة (98) أستاذا ، ثم رتبت هذه المتوسطات بصورة تنازلية بهدف تحديد الأساليب التي يفضلها الأساتذة بدرجة اكبر من بين الأساليب الأخرى فكانت النتائج كما موضحة في جدول (2) :

جدول (2)

ترتيب أساليب الحياة التي يفضلها أساتذة الجامعة

ترتيب الأساليب	الأسلـــوب المفضـــــل*	التسلسل على المقياس	الانحراف المعياري	المتوسط
1	إظهار التعاطف تجاه الآخرين	3	1.164	6.132
2	المحافظة على أفضل ما توصل اليه الإنسان	1	1.037	6.079
3	السيطرة على ظروف الحياة المتغيرة وبشكل مستمر	6	1.095	5.928
4	طاعة الأغراض الكونية والإذعان لها	13	0.989	5.898
5	التكامل الفعال مابين الفعل والمتعة والتأمل	7	1.240	5.387
6	السيطرة على النفس برزانة	10	1.421	5.285
7	العمل والتمتع بالحياة من خلال المشاركة الجماعية	5	1.124	5.183
8	تهيئة الفرصة للأفعال المغامرة	12	1.460	4.964
9	العيش بما يمكن الحصول عليه وبالمتعة الخالية من الهموم	8	2.171	4.275
10	تأمل الفرد لذاته الداخلية	11	1.131	3.898
11	تكريس إستقلالية الأشياء والأشخاص	2	1.816	3.653
12	الإنتظار بإستجابة هادئة أو تلق هادئ	9	1.712	3.642
13	أن يعيش الفرد الخبرات الإبتهاجية والعزلة بشكل هادئ	4	1.745	3.408

(*) إن هذه الأساليب المفضلة في جدول (2) هي عناوين استمدها الباحث من الأساليب الأصلية

يتضح من جدول (2) أن أساتذة الجامعة عينة البحث الحالي ، والتي بلغت (98) أستاذا يفضلون وبالمرتبة الاولى الأسلوب الذي يحمل التسلسل (3) على المقياس وبمتوسط (6.127)

والذي يتلخص في : (التعاطف مع الآخرين ، وتجنب الجشع والتسلط على الآخرين ، وتجنب المبالغة في تأكيد الذات ، وأن لايكون عدائيا في تعامله مع الآخرين ،وأن يتجنب الشبق الجنسي، وأن يكون مستجيبا ومتعاونا مع الأشخاص الآخرين) . وهذا ينسجم كثيرا مع توجهات هذه الشريحة المثقفة من المجتمع التي تمارس التربية والتعليم وبناء الإنسان في مختلف الجوانب الأنسانية ، فهذا الأسلوب يتضمن نماذج سلوكية ايجابية ، ويدعو الى التمسك بقيم اجتماعية عديدة، كما يدعو الى نبذ الممارسات غيرالمرغوبة او غير الأخلاقية ، وهذه الجوانب مجتمعة هي التي جعلت هذا الأسلوب يحتل الترتيب الاول من بين مجموعة الاساليب الأخرى .

وجاء في المرتبة الثانية وبمتوسط (6.064) الأسلوب الأول على المقياس والذي يتلخص في : (المشاركة بفعالية في الحياة الإجتماعية ، والمحافظة على أفضل ما توصل اليه الإنسان فيها ، والوضوح والإتزان والنقاء والسيطرة على الذات وتجنب الإبتذال والاندفاع والسلوك اللاعقلاني ، وعلى الفرد أن يكون نشطا من الناحية البدنية والإجتماعية) ، ان هذا الأسلوب يتضمن جوانب سلوكية وقيم أخلاقية وإجتماعية أخرى ، تختلف عن القيم الموجودة في الأسلوب السابق ، وهي مفضلة ومرغوبة من قبل عينة البحث أيضا ولكن بمستوى أقل ، علما أن هذا الأسلوب قد إحتل المرتبة الأولى في دراسة (الهيتي) (الهيتي ، 1993 ، ص 68) ، وكذلك في دراسة (مورس) على عينة هندية (Morris , 1956,p: 42) .

وجاء في الترتيب الثالث وبمتوسط (5.928) الأسلوب السادس والذي يتلخص في : (النشاط المستمر والكفاح والعمل بجد ومثابرة ، ,أن الأجود أفضل من الجيد وعلى الفرد السعي للأجود) .

وجاء في الترتيب الرابع وبمتوسط (5.898) الأسلوب الثالث عشر والذي يتلخص في : (خدمة الآخرين ، التواضع ، وان يكون الفرد قريبا من الناس ومن الطبيعة وأن يتشبث بكل ماهو جيد ، وأن يكون شاكرا لما يحصل عليه من حب وحماية ، وأن يكون نقيا ، واثقا ، وأن يكون وسيلة طيعة لخدمة القوى الخيرة الراسخة) .

وجاء في الترتيب الخامس وبمتوسط (5.387) الأسلوب السابع والذي يتلخص في : (أن على الفرد أن يتقبل شيئا من كل أساليب الحياة ، دون تطرف أو مغالاة ، وعليه أن يتقبل التنوع والتضاد في الأشياء ن المهم أن ستخدم كل ذلك في بناء حياته .

وهكذا بالنسبة لبقية الأساليب الأخرى وكما تظهر في جدول (2) ، حتى نصل الى الأسلوب الذي حصل على الترتيب الأخير وبنسبة (3.39) وهو الأسلوب الرابع في المقياس والذي يتلخص في : (الإنغماس في المتعة والتلذذ بها ، وان الحياة هي ابتهاج أكثر من كونها ورشة عمل ، وعلى الفرد أن يتجنب الآخرين ، وأن لايضحي بنفسه من أجلهم ، وعلى الفرد أن يختلي مع نفسه كثيرا ، وأن يكون له الوقت الكافي للتأمل وإدراك الذات) .

إن حصول هذا الأسلوب على الترتيب الأخير يوضح أن أفرادعينة البحث الحالي لاتفضله ولاتحب أن تعمل به ويبدو أنه يتناقض مع توجهاتهم وأساليب الحياة التي يفضلونها ، خصوصا وان لهم أهداف تربوية وعلمية سامية تقوم على الجهد والمثابرة والإنجاز ، في حين أن هذا الأسلوب يدعو الى نقيض ذلك .

إن مجمل الترتيب لأساليب الحياة المفضلة من قبل أساتذة الجامعة يدلل على توجه معين ينسجم كثيرا مع مايتوقع من هذه الشريحة الإجتماعية المتعلمة والمثقفة والمثابرة ، بما ينسجم وأساليبها الحياتية المفضلة وقيمها التي تؤمن بها وتعمل بها ، والتي أكدت على تفضيلها .

وتأكيدا لذلك نعرض النتائج التي توصلت اليها الدراسة الحالية مع نتائج دراسة (مورس) لإفراد ينتمون لإديان مختلفة على أساس أن الأديان تشكل متغيرات ثقافية وحضارية مؤثرة في أساليب الحياة المفضلة ، وكما موضحة في جدول (3) :

جدول (3)

متوسطات درجات تفضيل أساليب الحياة في الدراسة الحالية ودراسة مورس تبعا لأديان العينات

	دراسـة مورس					الدراسة الحالية
الأساليب	البروتستانت	الكاثوليك	اليهود	المختلط	بدون دين	المسلمون
1	5.22	4.79	4.43	4.14	4.63	6.079
2	2.83	3.23	3.33	3.17	2.98	3.653
3	4.32	4.12	3.59	4.35	4.01	6.132
4	3.80	3.91	4.25	3.90	3.93	3.408
5	4.08	3.98	3.66	3.83	3.91	5.183
6	4.79	4.98	4.53	4.42	4.55	5.828
7	5.51	5.48	6.31	5.94	5.86	5.487
8	4.48	4.33	4.34	4.55	4.34	5.031
9	3.04	2.77	2.75	3.30	2.78	3.642
10	3.84	3.78	3.15	3.65	3.75	5.289
11	2.87	3.20	2.72	2.68	2.78	4.089
12	4.33	4.13	3.77	4.19	4.32	4.964

5.998	2.13	2.41	1.71	2.21	2.11	13

بالنظر الى جدول (3) نجد أن هناك فروقا واضحة بين العينات في دراسة (مورس) والعينة في الدراسة الحالية وعليه يمكن إعتبار هذا المؤشر دليلا على أن المتغيرات الحضارية والثقافية وخصائص التقاليد الدينية تلعب دورا في التأثير على تفضيلات الأفراد لإساليب الحياة . كما نجد عند المقارنة في جدول (3) بين تفضيلات عينات مورس وعينة الدراسة الحالية ،أن عينة الدراسة الحالية تختلف كثيرا عنها ، و ربما يمكن رده الى عدة اسباب منها :

1 . في مقدمة الأسباب هي تعاليم الدين الإسلامي ودرجة التمسك بهذه التعاليم بالنسبة الى عينة المسلمين مقارنة بالعينات الأخرى .

2 . الفترة الزمنية بين الدراستين ، فدراسة مورس أجريت قبل عشرات السنين ، ومن المؤكد أن هناك تغيرات ثقافية وحضارية وإجتماعية مرت بها شعوب العالم ومنها الشعوب الإسلامية والعربية وهذا أثر بدوره على تفضيل أساليب عينة الدراسة الحالية .

3 . إن استقراء هذه النتائج يدلل على الصدق المنطقي الذي بني عليه المقياس ، والأساس النظري الذي يقوم عليه البحث وان تفضيل أساليب الحياة يتأثر بالمتغيرات التي طرحها المنطق النظري للبحث .

ثانيا : التعرف على أساليب الحياة لدى أساتذة الجامعة وفقا لمتغير البلد الذي ينتمون اليه :

لغرض التعرف فيما إذا كانت هناك فروقا بين اساتذة الجامعة في تفضيل أساليب الحياة تبعا لمتغير البلد الذي ينتمون اليه الأساتذة عينة البحث الحالي وهم : (الليبيون ، العراقيون، المصريون) ، تم حساب المتوسط والانحراف المعياري لدرجات الاساتذة ، ثم تم حساب درجة إختبار (F) لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات العينات الثلاث ، فأظهرت نتائج الحقيبة الإحصائية (spss) أن هناك فروقا معنوية لبعض الأساليب في حين لم تظهر هناك فروقا معنوية لإساليب أخرى وكما موضحة في جدول (4) :

جدول (4)

المتوسطات والانحرافات المعيارية والقيم الفائية والفروق المعنوية لأساليب الحياة المفضلة بين عينات البحث الثلاث

ت	الليبيون	العراقيون	المصريون	درجة	الفروق المعنوية

	المتوسط	الإنحراف	المتوسط	الإنحراف	المتوسط	الإنحراف	اختبار F	p- Value
1	5.904	0.893	5.923	1.055	6.411	0.792	5.662	*0.009
2	3.829	1.842	3.384	1.856	3.645	1.780	0.472	0.625
3	5.953	1.013	6.469	1.041	5.974	1.407	1.479	0.233
4	3.906	1.744	3.384	1.981	3.161	1.551	0.581	0.562
5	5.046	0.893	5.923	1.055	4.741	1.182	9.814	*0.000
6	5.926	1.212	5.730	0.961	6.096	1.044	0.785	0.459
7	5.195	1.269	5.500	1.363	5.648	1.090	0.858	0.427
8	4.097	2.165	5.423	2.023	3.548	1.963	6.081	*0.003
9	3.195	1.646	4.807	1.697	3.258	1.365	9.662	*0.000
10	5.317	1.523	4.653	1.383	5.774	1.116	4.750	*0.011
11	3.986	1.467	4.076	0.890	4.025	1.334	2.836	0.064
12	5.414	1.395	5.076	1.324	4.290	1.442	5.860	*0.004
13	6.170	0.919	5.923	1.055	5.516	0.926	4.123	*0.019

بالنظر الى جدول (4) يتضح ان هناك فروقا ذات دلالة معنوية في تفضيل الأساليب (1 ، 5 ، 8 ، 9 ، 10 ، 12 ، 13) ، حيث أن كل قيمة في حقل (الفروق المعنوية) تقل عن (0.05) ، تشير الى وجود فروقا معنوية بين العينات الثلاث ، وبالرجوع الى القيم الجدولية لإختبار (F) عند درجة حرية (95) تأكدت النتيجة ذاتها ، حيث ظهر أن الفروق في تفضيل الأساليب : (1 ، 5 ، 8 ، 9 ، 10 ، 12 ، 13) فروقا ذات دلالة معنوية عند مستوى دلالة (0.05) في حين لم تظهر هناك فروقا ذات دلالة معنوية للأساليب الأخرى : (2 , 3 ، 4 ، 6 ، 7 ، 11) ، وبإعتماد الطريقتين السابقتين ، ومن خلال ذلك يمكن التوصل الى النتائج الآتية :

(*) القيم التي تحمل هذه العلامة تمثل الأساليب ذات الدلالة المعنوية .

1 . أظهرت نتائج البحث الحالي ، أن هناك فروقا ذات دلالة معنوية بين عينات البحث الحالي في تفضيل الأسلوب الأول ، والذي يتلخص في : (المشاركة بفعالية في الحياة الإجتماعية ، والمحافظة على أفضل ما توصل اليه الإنسان فيها ، والوضوح والإتزان والنقاء والسيطرة على الذات وتجنب الإبتذال والاندفاع والسلوك اللاعقلاني ، وعلى الفرد أن يكون نشطا من الناحية البدنية والإجتماعية) . كما أظهرت النتائج أن أعلى متوسط بين العينات الثلاث هو متوسط العينة المصرية (6.411) ، وهذا يوضح أنهم يفضلون هذا الإسلوب أكثر من العينات ألأخرى.

2 . أظهرت النتائج أن هناك فروقا ذات دلالة معنوية في تفضيل الأسلوب الخامس ، والذي يتلخص في: (العمل والإندماج الإجتماعي والمشاركة الجماعية ، والإبتعاد عن المصلحة الفردية ، وعلى الفرد أن يشترك مع الآخرين لتحقيق أهدافا مشتركة ، ومتعة إجتماعية ، والابتعاد عن التزمت). وأظهرت النتائج أن أعلى متوسط بين العينات الثلاث هو متوسط العينة العراقية ، (5.923) وهذا يشير الى أن هذه العينة تفضل هذا الأسلوب بدرجة أكبر .

3 . أظهرت النتائج أيضا أن هناك فروقا ذات دلالة معنوية في تفضيل الأسلوب الثامن ، والذي يتلخص في : (الحصول على المتعة من جميع الأشياء المحيطة ، والإسترخاء والحركات الهادئة ، والإبتعاد عن الطموح المتهور والتعصب والمثاليات ، وعلى الفرد أن يسير مع تيار المتعة المتكامل البسيط والخالي من الهموم) . كما أظهرت النتائج أن أعلى متوسط لهذا الأسلوب هو للعينة العراقية (5.423) ويعني أنهم يفضلون هذا الأسلوب بصورة أكبر .

4 . أظهرت النتائج أن هناك فروقا ذات دلالة معنوية في تفضيل الأسلوب التاسع ، والذي يتلخص في : (أن الأشياء الطيبة في الحياة تأتي من تلقاء نفسها ، ولاداعي للعمل المثابر ولا للتفكير المضني ، ولا المشاركة في الحياة الإجتماعية ، وعلى الفرد التأمل والإنتظار بهدوء) .وأن أعلى متوسط في تفضيل هذا الأسلوب كان للعينة العراقية (4.807) ، وهذا يوضح أنهم يفضلون هذا الأسلوب بدرجة أكبر .

5 . أظهرت النتائج أن هناك فروقا ذات دلالة معنوية في تفضيل الأسلوب العاشر ، والذي يتلخص في : (السيطرة الذاتية الصارمة والقوية للذات ، وعلى الفرد أن يوجه حياته بالعقل والتمسك بالمثل العليا ، وبهذا فإنه سيحافظ على كرامته واحترامه لنفسه وعزته) . كما أظهرت النتائج أن أعلى متوسط في تفضيل هذا الأسلوب هو للعينة المصرية (5.774) وهذا يشير الى أنهم يفضلون هذا الأسلوب بدرجة أكبر .

6 . أظهرت النتائج أن هناك فروقا ذات دلالة معنوية في تفضيل الأسلوب الثاني عشر ، والذي يتلخص في : (الإعتماد على الطاقة البدنية والعضلات ، حيث أن إستخدام الطاقة البدنية هو سر الحياة الرغيدة ، وعلى الإنسان أن يكون جريء ومغامر ، فأفضل شيء هو الإنجاز الفعال ، وعلى الفرد أن يبتعد عن الحذر المبالغ والإسترخاء المريح) . كما ظهر من النتائج أن أعلى متوسط في تفضيل هذا الأسلوب هو للعينة الليبية (5.414) وهذا يمثل تفضيل أكبرلهذا الأسلوب .

7 . أظهرت النتائج أن هناك فروقا ذات دلالة معنوية في تفضيل الأسلوب الثالث عشر ، والذي يتلخص في : (خدمة الآخرين ، التواضع ، وان يكون الفرد قريبا من الناس ومن الطبيعة وأن يتشبث بكل ماهو جيد ، وأن يكون شاكرا لما يحصل عليه من حب وحماية ، وأن يكون نقيا ، واثقا ، وأن يكون وسيلة طيعة لخدمة القوى الخيرة الراسخة) . وظهر أيضا أن أعلى متوسط في تفضيل هذا الأسلوب هو للعينة الليبية (6.170) وهذا يشير الى أنهم يفضلون هذا الأسلوب بدرجة أكبر .

8 . أظهرت النتائج أن هناك مجموعة من أساليب الحياة لاتوجد فروق معنوية في درجة تفضيلها بين عينات البحث الثلاث ، وبالنظر الى متوسطات هذه الأساليب نجد أن هناك فروقا في تفضيل كل أسلوب منها,ولكن هذه الفروق بسيطة وغيرذات دلالة معنوية .

9 . إن عدد الأساليب المفضلة التي أظهرتها النتائج أنها ذات دلالة معنوية أكبر من ألأساليب المفضلة التي ظهرت بدون دلالة معنوية ، بالإضافة الى ذلك الفروق التي ظهرت في متوسطات تفضيل أساليب الحياة بين عينات بحث مورس والبحث الحالي والمتضمنة في جدولي (3 و4) يمكن أن تعطي دلائل على أن المتغيرات الثقافية والحضارية والدينية يمكن أن تؤثر في درجة تفضيل بعض الأساليب بدرجة أكبر ، وهذه النتائج تتفق مع نتائج دراسة (مورس 1956) ودراسة (الهيتي 1993) ودراسة (بروثرو 1985) ، حيث ظهرت فروق بين العينات في درجة تفضيل أساليب معينة ولم تظهر فروق في أساليب أخرى . ويجب أن لاننسى أن هناك بعض المتغيرات المشتركة بين عينات البحث الحالي وفي مقدمتها اللغة والدين والتاريخ والأرض وغيرها ، وهذه جميعها قد تعمل في إتجاه تقليل الفروق بين هذه العينات ، وربما لو كانت العينات مختلفة في الدين واللغة والتاريخ والأرض بالإضافة للعوامل الثقافية والحضارية لظهرت الفروق بصورة أكبر وربما شملت عددا أكبرمن الأساليب الحياتية .

وبناءا على نتائج البحث:

1 . نوصي الاهتمام بإجراء الدراسات النفسية والإجتماعية لإساتذة الجامعة للتعرف علميا على سماتهم وخصائصهم النفسية والسلوكية ، وإستثمار هذه النتائج في النهوض بالحياة الجامعية . وتحقيق الجودة والتطوير التي تسعى الى تحقيقه كل مؤسسة تربوية.

2 . نقترح إجراء دراسات أخرى على أساتذة الجامعة للتعرف على خصائص أخرى ، كما يمكن إجراء دراسات مقارنة لأساليب الحياة بين عينات عربية وعينات غير عربية أو غير إسلامية ، أو إجراء

دراسات مقارنة لمتغيرات أخرى . لإنها ممكن ان تزودنا بمعلومات عن مجتمعات العالم الأخرى وهذا بدوره يخلق فرصا للتواصل والتفاعل البناء .

المصادر :

1 . القرآن الكريم .

2 . ابن منظور . ***لسان العرب*** . بيروت , دار صادر , الجزء الثاني عشر , 1978 .

3 . الجيلاني ، أحمد الشيخ ، التخلف الثقافي كأسلوب حياة . ***مجلة المختار الإنسانية***. البيضاء : جامعة عمر المختار ، العدد السابع ، 2009 .

4 . دونسيل ، جي ، ف . ***علم النفس الفلسفي*** . ترجمة سعد احمد الحكيم ، بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة ، 1986 .

5 . شلتز ، دوان . ***نظريات الشخصية*** . ترجمة حمد دلي الكربولي وعبد الرحمن القيسي ، بغداد : جامعة بغداد ، 1983 .

6 . صالح ، قاسم حسين .***الشخصية بين التنظير والقياس*** . بغداد : جامعة بغداد 1988 .

7 . الغزالي ، ابو حامد محمد بن محمد . ***إحياءعلوم الدين*** . بيروت : دار القلم ، بدون تاريخ

8 . فونتانا , ديفيد . ***الشخصية والتربية*** .ترجمة عبد الحميد يعقوب ، وصلاح محمد نوري , أربيل : جامعة صلاح الدين , 1989 .

9 . فروم , أريك . ***الانسان بين الجوهر والمظهر*** . ترجمة سعد زهران , الكويت : سلسلة عالم المعرفة , العدد 140 , 1989 .

10. لازاروس ، ريتشاد . ***الشخصية*** . ترجمة سيد محمد غنيم , القاهرة : دار الشروق , 1981.

11.المنصوري ، أبو بكر مفتاح ، الخصائص السيكومترية للصورة العربية لمقياس الإتجاه نحو الطب النفسي . ***مجلة المختار الإنسانية*** . البيضاء : جامعة عمر المختار، العدد الرابع ، 2008 .

12. هورني ، كاترين . ***صراعاتنا الباطنية*** . ترجمة عبد الودود محمود العلي , بغداد : دار الشؤون الثقافية العامة , 1988 .

13 . هول , كالفين , وجاردنر ليندزي . ***نظريات الشخصية*** . ترجمة فرج احمد فرج ، وآخرون , القاهرة : دار الشايع للنشر , 1978 .

14 . الهيتي , خلف نصار . طرائق الحياة لدى طلبة الجامعة في العراق . بغداد : ***مجلة كلية التربية . الجامعة المستنصرية***. المجلد 7 ، العدد 3 , 1993 .

15 . Atkinson , Rital ,& Others . ***Introduction to psychology***. Geneva : Cosmo press , 1989.

16. Boyuton , Ralph Dewey . Life style , personality factors and Psych pathology , ***Dissertation abstract international*** . vol 50 . No 3 .A . 1989 .

17 . Eysenck , H , J , & S . B , G , Eysenck . ***The structure of Human Personality*** . London: Methen and Co , LIP , 1970 .

18. Fantino , Edmund , & Gerges , Reynolds . Introduction to Contemporary .

19 . Morris , Charles W . ***Varieteies 0f human value*** . Chcago : University of chcago press , 1956 .

20 . Murray , J , A . ***New English dictionary on Hostorical principle***. Lonodon : The Oxford Univrsity, the Claren pres, vol (6) 1961 .

21 . Nunnaly ,J ,C . ***Psychometric theory***. New York: McGraw-hil,1978

22 . Zibardo , Philip , G . ***Essentials of psychology and life*** .Clenview , Illinois : Scott , Foresman and Company , 1980 .

الملحق (1)

صورة التعليمات والمقياس الذي طبق على عينة البحث الحالي

جامعة عمر المختار / درنة

قسم العلوم السلوكية

علم النفس

الأستاذ الفاضل :

السلام عليكم

يقوم الباحث بدراسة للتعرف على أساليب الحياة المفضلة عند ألأساتذة ألجامعيين ، إذ أن لكل إنسان أسلوبه في الحياة ، ويندر أن يوجد اثنان يتطابقان تماما في أسلوب حياتهما ، ومع ذلك هناك من الباحثين من يرى أن أساليب الحياة لدى الناس يمكن تصنيفها الى ثلاثة عشر أسلوبا تجدها في صفحات هذا الاستبيان ، ولاشك في أنك ستجد نفسك تحب اسلوبا او اكثر منها وتكره أسلوبا اوأكثر منها بدرجات متفاوتة، ولهذا وضعنا مقياسا لهذا التفاوت يتدرج بين الرقم (7) الذي يمثل أقصى درجات الحب لذلك الاسلوب، والرقم (1) الذي يمثل أقصى درجات الكره لأسلوب آخر .

تذكر أن ذلك ليس تساؤلا عن الأسلوب الذي تعيشه الآن ، أو الأسلوب الذي تعتقد انه جيد للاشخاص الآخرين ، أو أسلوب الحياة الذي تعتقد انه من الحكمة ان نتبعه في حياتنا،بكل بساطة: إنه أسلوب الحياة الذي تفضله او ترغب في أن تعيشه شخصيا .

طريقة الاجابة :

الرجاء إقرأ كل أسلوب ثم استعمل المقياس الآتي من الارقام ـ واضعا واحدا منها فقط في المكان المخصص الموجود أسفل كل أسلوب ـ الذي يحدد درجة تفضيلك أو عدم تفضيلك لكل أسلوب:

(7) أفضله كثيرا

(6) أفضله

(5) أفضله قليلا

(4) أقف محايدا

(3)لا أفضله قليلا

(2) لا أفضله

(1) لا أفضله كثيرا

وتقبل شكر وتقدير الباحث .

معلومات للبحث :

الشهادة :

التخصص :

الكلية :

الجنسية : الباحث

الأسلوب الاول :

على الفرد أن يشارك بفاعلية في الحياة الاجتماعية لمجتمعه، لا ليغيرها بالدرجة الأساس بل ليفهمها ويقدرها حق قدرها ، ويحافظ على افضل ما حققه الانسان فيها .

على الفرد أن يبحث عن كل ماهو جيد في الحياة ، ولكن بأسلوب منظم ، فالحياة لا تستقيم إلا بالوضوح والنقاء والسيطرة على الذات ، ولابد للفرد ان يتجنب الابتذال والاندفاع والسلوك اللاعقلاني والانغماس المفرط في الملذات .

على الفرد أن يحترم الصداقة ويقدرها وفي الوقت نفسه عليه ان يتجنب الارتباط بصداقات حميمة مع كثير من الناس بسهولة .

ان الحياة تتطلب النظام والوضوح والسلوك القويم والقدرة على التنبؤ بمجرياتها واذا ما أريد إجراء التغييرات الاجتماعية ، فيجب ان تتم بتأن وحذر ، وذلك للمحافظة على ماحققه الانسان خلال حضارته البشرية .

على الفرد ان يكون نشطا من الناحيتين البدنية والاجتماعية ولكن ليس بطريقة فوضوية او متطرفة ، إن الرزانة والفطنة لابد أن يسهما بانتظام حياة نشيطة .

درجة تفضيل الاسلوب الاول : ( )

الأسلوب الثاني :

ينبغي أن يكون الفرد في الغالب منفردا ، وأن يكرس الوقت الكثير لنفسه وأن يحاول السيطرة على جوانب حياته الخاصة ، وعلى الفرد أن يؤكد اكتفاءه الذاتي ، ويستغرق في التأمل والتفكير الموجه نحو الذات ، وكذلك عليه معرفة نفسه ، ويجب ان يبتعد عن العلاقات الحميمة مع الجماعات وعليه أن يبتعد

عن استخدام قوته البدنية لاحداث تغيرات مادية في الاشياء المحيطة به ،أو محاولة السيطرة على بيئته الطبيعية وعلى الفرد أن يسعى الى تبسيط حياته العامة ، وان يخفف رغباته التي يحققها اعتمادا على عوامل مادية واجتماعية خارج ذاته ، وأن يولي اهتمامه لعملية تنفيذ وتهذيب وتوجيه ذاته ، وعليه أن يؤمن بأنه لايمكن تحقيق أي شيء او الحصول على أي شيء اذا ماانغمس الفرد في الحياة العامة ، وعلى الفرد أن يتجنب الاتكال على الآخرين والاشياء ، وينبغي أن يجد جوهر الحياة داخل ذاته .

درجة تفضيل الأسلوب الثاني : ( )

الأسلوب الثالث :

ترتكز هذه الطريقة على التعاطف مع الآخرين ؛ فالمشاعر لابد أن تكون شيئا أساسيا في الحياة وبخاصة المشاعر الخالية من فرض الشخص لنفسه على الآخرين لأغراضه الشخصية ولابد من تجنب الجشع والشبق الجنسي والتسلط على الآخرين ، وتجنب المبالغة في تأكيد الفرد على نفسه وذكائه ، لانها أمور تعيق التعاطف والمحبة بين الناس وهذه المحبة وحدها قادرة على إعطاء معنى للحياة ، وعلى الفرد ألاّ يكون عدائيا في تعامله مع الاخرين لانه بذلك سوف لايقدر قواه الشخصية التي ينبغي ان يعتمد عليها في نمو شخصيته من أجل التكامل الشخصي السليم ؛ وعليه لابد من تنقية نفسه وتجنب المبالغة في التأكيد على ذاته ، وأن يكون مستجيبا ومتعاونا مع الاشخاص الآخرين .

درجة تفضيل الأسلوب الثالث : ( )

الأسلوب الرابع :

لابد أن نرى في الحياة متعة ، لابد أن ننغمس في إستمتاعنا هذا وأن نتلذذ به . يجب أن لا يكون هدف الحياة السيطرة على مجريات الأحداث في العالم او المجتمع او على حياة الآخرين، بل يجب أن يكون الفرد منفتحا ويتقبل الاشخاص والأشياء ويتمتع بها . ان الحياة ابتهاج اكثر من كونها ورشة عمل او مدرسة تشيع الضوابط الاخلاقيةالصارمة .

علينا أن نعطي المجال للأشياء أو الأشخاص يؤثرون في الذات ، ذلك اكثر اهمية من ان نعمل شيئا جيدا ، ومثل هذه المتعة تتطلب من الفرد أن يكون مكتيفا ذاتيا ومدركا لما يحدث وكذلك متفهما لما يحدث وعليه أن يتجنب الارتباط بالاخرين ، وأن لايعتمد على أفراد معينين او أشياء محددة ، وأن لايضحي الفرد بذاته ، وعليه أن يختلي مع نفسه كثيرا وأن يكون له الوقت الكافي للتأمل وإدراك الذات ، فالعزلة والاختلاط كلاهما ضروري للحياة الطبيعية والمعقولة .

درجة تفضيل الأسلوب الرابع : ( )

الأسلوب الخامس :

على الفرد ان لاينكفيء على نفسه فيكون انانيا ومنعزلا عن الآخرين وغيرمكترث بهم ، بل عليه أن يندمج مع الجماعة ويستمتع بصحبتهم والتعاون معهم ويشترك في نشاطاتهم لتحقيق اهداف مشتركة ، فالناس لابد ان يكونوا نشيطين واجتماعين ، ولابد للحياة ان تتضمن نشاطا جماعيا فعالا ، ومتعة جماعية تعاونية .

إن التأمل الفردي والتركيز على الاكتفاء الذاتي والتفكير المجرد النظري غير التطبيقي والعزلة والانشغال بالمصلحة الفردية ، كل هذه الأمور تقطع الجذور التي تربط الاشخاص فيما بينهم . على الفرد أن ينفتح وان يتمتع بالحياة وان يعمل مع الاخرين ليضمن خلق حياة اجتماعية ممتعة ، أما اولئك الذين يعارضون هذا النهج فيجب عدم التساهل معهم ، فالحياة لايمكن ان تكون دقيقة وذات معايير متزمته للغاية كما يريدها هؤلاء .

درجة تفضيل الأسلوب الخامس : ( )

الأسلوب السادس :

تميل الحياة باستمرار إلى الجمود أو ألركون الى حالة الخمول ، فعلى الفرد أن يظهر الحاجة الى النشاط الدائم ، النشاط البدني ، المجازفة ، ان يقدم الحلول الواقعية للمشكلات المحددة عندما تظهر، ويسعى الى تحسين اساليب السيطرة على العالم والمجتمع . ان مستقبل الفرد يعتمد الى حد كبير على مايفعل لاعلى مايشعر به او يتأمله ، فالمشاكل الجديدة تظهر باستمرار وسوف تظهر دائما . فاذا أراد المرء أن يتقدم فيجب عليه إجراء تعديلات فلا يمكن ان يفتش عن الماضي أو يحلم بما سيكون عليه المستقبل علينا ان نعمل بجد ومثابرة اذا ما اردنا ازالة العوائق التي تظهر امامنا .

على الفرد ان يعتمد على التقدم التقني الذي جاء به العلم ويجب ان يجد هدفه في حل مشكلاته. ان الأجود أفضل من الجيد وعلينا السعي للأجود .

درجة تفضيل الأسلوب السادس : ( )

الأسلوب السابع :

يجب علينا في اوقات مختلفة وفي أماكن شتى ان نتقبل شيئا ما من كل اساليب الحياة دون ان نمنح احدها ولاءنا المطلق ، فقد يكون أحدها هو الأفضل في لحظة ما ، وقد يكون غيره الافضل في لحظة اخرى ولابد ان تنطوي الحياة على المتعة والفعالية والتأمل بمقادير متساوية تقريبا ، وفيما لو تطرفنا بأحدها فإننا سنفقد شيئا مهما في حياتنا اذ لابد لنا ان نتمتع بمرونة ونتقبل التنوع وان ندرك التضاد الذي قد ينجم عن هذا التنوع وان نجد مجالا للانسحاب في زخم المتعة والنشاط .

إن هدف الحياة نجده في التكامل الحيوي بين المتعة والتفاعل النشط لأساليب الحياة المختلفة، وعلى الفرد ان يستخدم كل ذلك في بناء حياته وأن لا يرتكز على واحد منها.

درجة تفضيل الأسلوب السابع : ( )

الأسلوب الثامن :

يجب أن تكون المتعة مفتاح الحياة ، لكن ليس بالبحث المضني عن الملذات المثيرة بل التمتع بالمسرات البسيطة التي يسهل الحصول عليها مثل متعة الوجود فقط ومتعة الطعام أو الاشياء المريحة التي تحيط بك او التحدث مع الاصدقاء او متعة الراحة والاسترخاء .

إن المكان الذي يصلح للعيش هو بيت دافيء ومريح فيه كراسي وفراش وفير ومطبخ عامر بالاطعمة وباب مفتوح للأصدقاء ، وعلى الانسان ان يكون بحالة استرخاء ، حركاته هادئة ،غير مستعجلة ، وان يكون تنفسه بطيئا وراغبا في الراحة وشاكرا لعالمه الذي هو غذاؤه.

ان الطموح المتهور والتعصب والتشبث بالمثاليات هي سمات الناس غير المقتنعين ممن فقدوا القدرة على أن يسيروا مع تيار المتعة المتكامل البسيط والخالي من الهموم .

درجة تفضيل الأسلوب الثامن : ( )

الأسلوب التاسع :

إن القدرة على تلقي الاشياء وتقبلها هو مفتاح الحياة فالاشياء الطيبة في الحياة تأتي من تلقاء نفسها دون ان نبحث عنها , ولا يمكننا الحصول عليها بالعمل المثابر أو من خلال الاهتمام بالرغبات الجسدية ، كما لايمكن الحصول عليها من خلال المشاركة في خضم الحياة الاجتماعية ولايمكن ان نهبها للاخرين بمجرد ان نحاول مد يد العون للاخرين ، كما لايمكن تحقيقها بالتفكير المضني ، ولكنها تأتي على حين غفلة دون ان يكون لنا دخل في ذلك. وعندما تمتنع الذات عن نزواتها ، وتبقى في حالة انتظار وتلق هادىء فأنها ستكون امام القوى التي تغذيها وتحددها لتركن الى حالة من المتعة والاطمئنان .

ليجلس المرء وحيدا تحت الاشجار والسماء ويستمع الى اصوات الطبيعة بهدوء وتأمل، عندها تنتقل الحكمة من الخارج الى داخل الانسان.

درجة تفضيل الأسلوب التاسع : ( )

الأسلوب العاشر :

إن السيطرة على الذات يجب أن تكون أساس الحياة وهذا لايعني السيطرة السلبية التي تتم بالانسحاب أو الانعزال عن العالم ، بل السيطرة الذاتية الصارمة والقوية التي تعيش في العالم وتدرك قوته وتدرك أيضا محدودية القدرة البشرية .

إن الحياة المعقولة هي الحياة التي يتم توجيهها بالعقل والتي تتمسك بالمثل العليا وهي التي لا تستجيب لأصوات الراحة والنزوات المغرية ،ولاتتوقع حياة اجتماعية لهذه الحياة . كما انها لاتثق بالنصر النهائي ، اذ لايمكن توقع الكثير لهذه الحياة ، ومع ذلك يمكن للفرد ان يتمسك بقوة بمقاليد نفسه وان يسيطر على نوازعه الجانحة . وان يفهم موقعه في هذا العالم وان يدع العقل يحكم افعاله وان يحقق استقلاله واكتفاءه الذاتي ، وبهذه الطريقة ورغم انه سينتهي أخيرا فانه سيكون قادرا على الحفاظ على كرامته وعزته واحترامه لنفسه وأن يموت وهو على أخلاق حسنة .

درجة تفضيل الأسلوب العاشر : ( )

لأسلوب الحادي عشر :

إن الحياة المتسمة بالتأمل هي الحياة المثالية الجيدة فالعالم الخارجي هو ليس المكان الملائم للانسان فهو كبير جدا وبارد جدا ومتعب جدا . بل إن الحياة الداخلية للفرد هي الحياة الغنية بالمثل والمشاعر المرهفة بالأحلام ومعرفة الذات وهي البيت الحقيقي للانسان ، وحين يهذب المرء ذاته سيصبح إنسانيا ، وعندها يبرز التعاطف العميق مع كل شيء حولنا وسنفهم المعاناة المتأصلة في الحياة وندرك قلة جدوى الفعل العدواني ، وسنلمس تلك المتعة التأملية وعندها أيضا سيتبدد الغرور والكبرياء وتذوب القسوة وكلما تخلى المرء عن العالم كلما وجد بحرا في ذاته اكبر واجمل .

درجة تفضيل الأسلوب الحادي عشر : ( )

الأسلوب الثاني عشر

إن استخدام الطاقة البدنية هو سر الحياة الرغيدة ، فالايدي تحتاج الى مايمكن أن تحوله الى مادة جديدة ، كما تحتاج الى الحجارة كي تبني ، والى الطعام كي تستغله والى الطين كي تصنع منه أشياء كثيرة ، لابد ان ندع العضلات تتمتع بممارستها العمل والتسلق والركض والتزحلق ومااالى ذلك من نشاطات .

إن لذة الحياة تكمن في سر تغلبنا وسيطرتنا واقتحامنا المعضلات . إن ما يروق للنفس هو الانجاز الفعال ، الانجاز الجريء المغامر . ولايكون تكامل الحياة في الحذر المبالغ به ولا في الاسترخاء المريح . إن الاسلوب المثالي للحياة يكون في الفعل النشيط واستثارة القوة في دافع محسوس .

درجة تفضيل الأسلوب الثاني عشر : ( )

الأسلوب الثالث عشر :

ينبغي على الفرد أن يخدم الآخرين بما يسهم في نموهم ، وأن يتفاعل مع الغايات الموضوعية الكبرى التي من حوله في العالم ، هذه الغايات التي تحقق أهدافها بيسر وصمت ؛ لان غايا ت الافراد وغايات البشرية إنما تتفاعل فيما بينها بشكل صميمي وبالتالي يمكن الوثوق بها .

على الفرد أن يكون متواضعا ثابتا مخلصا وغير لحوح وان يكون شاكرا لما يحصل عليه من حب وحماية وبدون مغالاة ، وعليه أن يكون قريبا من الناس ومن الطبيعة ، مما يشعره بالأمان، وعليه ان يعمَق كل ماهو جيد بالاخلاص له وأن يتشبث بكل ماهو جيد لكونه مخلصا له .

على الفرد أن يكون نقيا ، واثقا ، وأن يكون وسيلة طيعة لخدمة القوى الخيرة الراسخة وهي تتجه لتحقيق أهدافها .

درجة تفضيل الأسلوب الثالث عشر : ( )